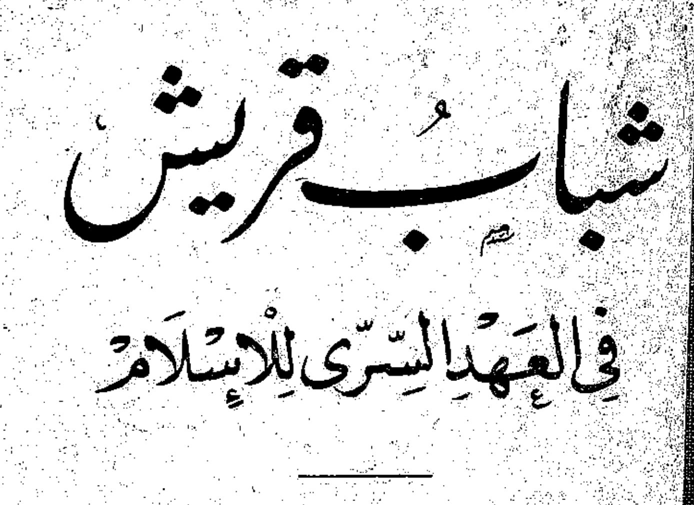
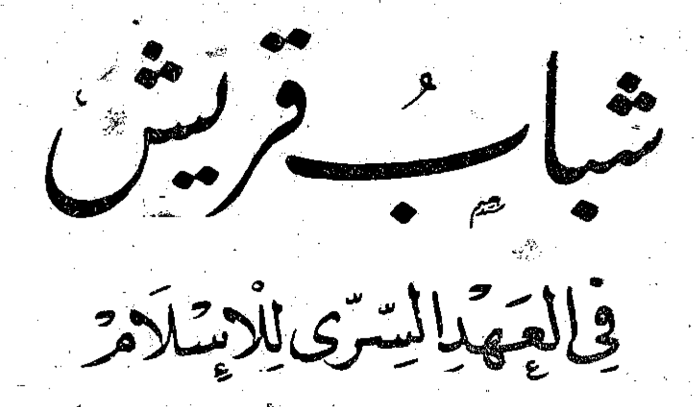


عبد المتعال الصعيدي

الناشر
دار الفكر العربي



« أوصيكم بالشبان خيراً ، فإنهم أرق أفئدة ، إن الله بعثنى بشيراً ونذيراً ، فحالفنى الشبان ، وخالفنى الشيوخ ، ثم قرأ : « فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم »

حديث مرفوع

تأليف

عبد المتعال الصعيدى

المدرس بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

[حق الطبع محفوظ للمؤلف]

الناشر

دار الفكر العربى

ش

893.791
Sa21

المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابورى بالحلمية ـ القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على رأس الأربعين من عمره، وقد اكتمل شبابه، وتمت رجولته، وتهيأ لرسالته التى اختارها له.

وبعد فإن كثيراً من الناس لا يفهم إلا أن الدعوة الاسلامية كانت نضالا بين التوحيد والشرك، وقليل منهم من يفهم أنها كانت نضالا بين الشباب الذى أخذ بهذا الدين الجديد، وبين الشيوخ الذين جمدوا على دينهم القديم، نضالا جاهد فيه شباب قريش من فتيان وفتيات أشرف جهاد، وضحوا فيه من نفوسهم وأموالهم أشرف تضحية، إذ كانوا يجاهدون ويضحون فى سبيل الحرية الدينية التى يأباها قومهم عليهم، ويكرهونهم على الجمود على الشرك مثلهم، فجاهدوهم فى سبيل هذه الغاية النبيلة، لا يبغون من جهادهم ملكا يتمتعون بخيراته، ولا يطلبون لأنفسهم مجداً وصيتاً بين الناس، وإنما كان جهادهم ليعيشوا أحراراً فى دينهم، وليبلغوا دعوته إلى الناس فى سلام وأمن، وكان شعارهم فى دعوتهم (لا إِكْرَاهَ فِى الدِّين قَدْ تَبيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ).

وقد أصبح شباب الاسلام فى عصرنا فى حاجة إلى أن يفهموا من ذلك ما يبصرهم فى دينهم ، ويفهمهم أن الاسلام لم يقم إلا على أكتاف الشباب ، ليلتفُّوا حوله ، ويعيدوا سيرتهم نحوه ، فيكسبوه من قوتهم قوة ، ومن شبابهم شبابا ، كما استفاد من شباب قريش ما بهر العالمَ ، وجعله يقبل على الإيمان به فى سرعة البرق .

نعم إن شبابنا فى حاجة إلى أن يعلموا هذا ويدرسوه ، لأنهم قد فتنوا بمدنية أُرُوبَّا ، وبما فيها من زخارف خادعة ، وتمويهات باطلة ، وليست فى حقيقتها إلا مدنية مادِّيَّةً اقتصادية تجارية ، رائدها الجشع ، وأساسها الطمع ، لا تأخذ بيد الضعيف ، بل تزيده ضعفاً إلى ضعفه ، ليسهل عليها سلبه ونهبه ، ولتتمكن من القضاء عليه بالفقر والمرض والجهل ، ولتكون لها السيادة وحدها ، ولتتمتع بنعيم الحياة دون غيرها ، وهذه بعينها كانت غاية المدنيات القديمة قبل الاسلام ، كمدينة الفُرْس فى الشرق ، ومدينة الرُّوم فى الغرب ، وهى بهذا مدنية رجعية بغيضة ، تعيد عهد استعباد الشعوب بعضهم لبعض ، وتخضع الحق للقوة ، ولا تخضع القوة للحق ، ولا تدعو إلى غاية نبيلة يستوى فيها الناس ، ويتمتع فيها الضعيف بما يتمتع به القوى .

ولكن ماذا يعمل شبابنا وهم يلقنونها فى دروسهم باسم المدنية الحديثة ، ويقرؤونها فى كتبهم باسم المدنية الحديثة ، ويسمعونها فى غدواتهم باسم المدنية الحديثة ، ويسمعونها فى روحاتهم باسم المدنية الحديثة ، حتى صار هذا عندهم عقيدة ، وحتى صار أنصارها هم أنصار الجديد ، والداعون إليها هم دعاة التجديد والنهوض .

فيالله من عصر تقلب فيه الحقائق ، ويغبن الإسلام فيه هذا الغبن الفاحش ، وينسى شبابه أنهم كانوا جنوده وأنصاره ، وأنهم هم الذين رعوه ناشئا ، والتفوا حوله جديداً ، ولا يزال هو الجديد الذى يبلى الزمان ولا يبلى ، وتشيخ كل دعوة ولا تشيخ دعوته ، لأنه أتى صالحا لكل زمان ، مناسبا لكل مكان .

ولقد كنت أول من اهتدى فى عصرنا الى هذه العلاقة بين الاسلام والشباب ، فنشرت مقالا فى جريدة الأخبار (٣ من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٤٦ هـ) تحت عنوان (الدعوة الاسلامية والشبيبة القرشية) بينت فيه تلك العلاقة ، وأثبت فيه تلك الفكرة ، بالإجمال الذى يحتمله مقال فى جريدة .

فلم يمض على ذلك المقال أكثر من شهرين حتى قام نفر من أبناء مصر بتأليف (جمعية الشبان المسلمين) لتقوم بالغرض الذى قصدته

من إثبات تلك العلاقة بين الاسلام والشباب، ثم توالى بعد هذا تأليف جمعيات الشبان المسلمين فى مدن مصر، وفى مدن الأقطار الاسلامية من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب.

ولما رأيت ما نالته تلك الفكرة من النجاح، أردت أن أجعلها كتابا يفصل ما أجملته فى المقال الذى نشرته بجريدة الأخبار، ويبين تاريخ تلك الجماعة من شباب قريش شبّانا وشابّات، ويشرح ماقدموا فى سبيل الاسلام من تضحية، وماقاموا به فى تأييده من جهاد، ويجعل من تاريخهم عبْرة وعِظَة لنا، لننتفع بخير مافيه، ونتقى بعض ما وقعوا فيه بحسن نية، لأن التاريخ لا تقتصر وظيفته على سرد الأخبار، بل يدخل فيها استخلاص القدوة الحسنة، واستخراج الموعظة النافعة.

وقد سمّيت هذا الكتاب (شباب قريش فى العهد الأول للاسلام) لأن هذا العهد كان خالصا لأولئك الشباب، وفيه نشأ أولئك الأبطال الذين لم يعرف التاريخ جهادا أشرف من جهادهم، ولم يشاهد نضالا أروع من نضالهم، ولم يكن لهم فيه سلاح إلا قوة الايمان، وهى القوة التى طأطأ العرب لها رؤوسهم على أنفتهم وحميّتهم، وخضعت لها جيوش كِسْرى وقَيْصَر على كثرة عُدَدهم وعَدَدهم. والله أسأل أن ينفع به شباب عصرنا، وأن يهيء السبيل لتأدية رسالته بينهم.

ترتيب سن الشباب

قال الامام أبو منصور عبد الملك الثعالبي (١) في كتاب فقه اللغة:

مادام الحمل في رَحِم أمه فهو جَنِين، فاذا وُلِدَ فهو وَلِيد، وما دام لم يستتم سبعة فهو صَدِيغ، لأنه لا يشتد صدغه إلى تمام السبعة، ثم مادام يرضع فهو رَضَاع، ثم إذا قطع عنه اللبن فهو فَطِيم، ثم إذا غَلُظ وذهبت عنه ترارة الرضاع فهو جَحْوش، عن الأصْمَعِيّ (٢) وأنشد للهُذَلِيّ:

قتلْنَا مَخْلَدًا وَابْنَيْ حُرَاقٍ ... وَآخرَ جحوشاً فوق الفطيم

قال الأزهري (٣): كأنه مأخوذ من الجحش الذي هو ولد الحمار، ثم

---

(١) هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، والثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها، قيل له ذلك لأنه كان فراء. وله كتب كثيرة، منها كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، وكتاب فقه اللغة وسحر البلاغة وسر البراعة، وكانت ولادته سنة خمسين وثلثمائة من الهجرة، وتوفى سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

(٢) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي، كان صاحب لغة وأخبار، ولد سنة اثنتين ومائة من الهجرة، وتوفى سنة سبع عشرة ومائتين.

(٣) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر طلحة بن نوح بن أزهر الأزهري الهروي، له في اللغة كتاب التهذيب يقع في أكثر من عشر مجلدات، وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين ومائتين من الهجرة، وتوفى سنة سبعين وثلثمائة.

هو إذا دَبَّ ونما فهو دارِج ، فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خُماسِيٌّ ، فإذا سقطت رواضعه فهو مثغور، عن أبى زيد(١) فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو متَّغِر (بالتاء والثاء) عن أبى عمرو(٢) فإذا كاد يجاور العشر السنين أو جاوزها فهو مُتَرَعْرِع وناشئ ، فإذا كاد يبلغ الحُلُمَ أو بلغه فهو يَافِعٌ ومُرَاهِقٌ ، فإذا احتلم واجتمعت قوته فهو حَزَوَّر – واسمه فى جميع هذه الأحوال التى ذكرناها غلام – فإذا اخضر شاربه وأخذ عِذاره يسيل قيل بقل وجهه ، فإذا صار ذا فَتَاء فهو فتى وشارخ ، فإذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مُجْتَمِع ، ثم مادام بين الثلاثين والأربعين فهو شابٌّ ، ثم هو كهل إلى أن يستوفى الستين .

وقيل إن الغلام هو الولد من لَدُنْ فطامه إلى سبع سنين ، والحَزْوَّر من عشر إلى خمس عشرة سنة ، واليافع الذى ارتفع ولم يبلغ الحُلُم ، والحالم أو المُتَرَعْرِع الذى احتلم ، والمُدرِك أو الحائط الذى ظهر البَثْر الذى يبدو بوجهه بعد الاحتلام ، والأمرد الشابُّ الذى قد بلغ

(١) هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى ، كان إماما نحويا صاحب تصانيف أدبية ولغوية ، وغلبت عليه اللغة والنوادر والغريب ، وتوفى سنة خمس عشرة ومائتين من الهجرة ، عن ثلاث وتسعين سنة .

(٢) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار المازنى ، اختلف فى اسمه على إحدى وعشرين قولا ، والأصح أن اسمه زبان ، كان إمام أهل البصرة فى القراءات والنحو واللغة ، وهو أحد القراء السبعة مات سنة أربع وخمسين ومائة من الهجرة .

خروج وجهه ، فَطَرَّ شاربه ولَمَّا تَبْدُ لحيته ، والمُحَمَّم الشاب إذا اسودَّ شعر وجهه وأخذ بعضه بعضاً ، والرجل الغلام إذا احتلم وشَبَّ ، والعُشَارِىُّ الشابُّ الذى بلغ العشرين ، والقُمُدُّ من خمس عشرة إلى خمس وعشرين ، والعَنْطَنَطُ من الخامسة والعشرين إلى الثلاثين ، والمجْتَمِع الرجل إذا التَفَّ وجهه ولم يكن فى الشعر مزيد وشاب بعض الشيب ، والكهل المجتمع التامُّ ، أو الرجل إذا وَخَطه الشيب ورأيت له بَجَالة ، أو هو ما بين أربع وثلاثين إلى إحدى وخمسين ، والأشمط أو الأشيب الذى رأى البياض ، والشيخ الذى استبانت سنُّه ، أو هو من خمسين إلى آخر عمره ، أو إلى الثمانين .

أما المرأة فهى طفلة مادامت صغيرة ، ثم وَلِيدة إذا تحركت ، ثم كاعب إذا كعب ثديها ، ثم ناهد إذا زاد ، ثم مُعْصِر إذا أدركت ، ثم عانس إذا ارتفعت عن حد الإعصار ، ثم خَوْد إذا توسطت الشباب ، ثم مُسْلِف إذا جاوزت الأربعين ، ثم نصف إذا كانت بين الشباب والتعجيز ، ثم شهلة كهلة إذا وجدت مَسَّ الكبر وفيها بقية وجلد ، ثم شَهْبَرة إذا عجزت وفيها تماسك ، ثم حَيْزَبُون إذا صارت عالية السِّنّ ناقصة القوة ، ثم قَلْعَم ولِطْلِط إذا انحنى قَدُّها وسقطت أسنانها .

[illegible]

[illegible]

الشبابُ والإسلام

سبق الشباب إلى الإسلام

إشارة القرآن إلى سبق الشباب إلى الاسلام :

لقد ثبت فى علم الاجتماع الحديث أن الشباب أنصار كل جديد، لأنهم لم يألفوا القديم إلْفَ الشيوخ، فيسهل عليهم قبول الدعوة الجديدة، ولا ينفرون منها كما ينفر آباؤهم وذوو السِّنّ فيهم .

ولقد سبق القرآن الكريم علم الاجتماع الحديث إلى تقرير هذا الأصل ، وكم فى القرآن من عجائب العلم والمعرفة ، لأنه لا تنفد عجائبه ، ولا تنتهى أسراره ، وهذا من أكبر الأدلة على أنه من عند الله تعالى ، لأن هذه العجائب التى لاتنفد ، وهذه الأسرار التى لاتنتهى ، لايمكن أن تكون من البشر ، وإنما هى من الله الذى أحاط بكل شئ علماً ، فأودع من أسرار علمه فى هذا الكتاب العظيم ما أودع ، ليكون من أكبر الأدلة على أنه ليس من تأليف البشر .

وهذا الأصل الذى ثبت فى علم الاجتماع الحديث قد جاء فى كلمة واحدة من هذا القرآن الكريم ، دلالة على إعجازه ، وبرهاناً على أنه لا يمكن أحدا أن يأتى بمثله ، إذ تحوى الكلمة الواحدة منه من العلم ما يكفى

لتأليف كتاب ، ومثل هذا لا يوجد فى كتاب آخر مُنزَّل أو غير منزل .

وهذه الكلمة قد وردت فى الآية —٨٣— من سورة يونس :
(فَمَا آمَنَ لموسى إلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قومهِ على خوفٍ مِنْ فرعونَ ومَلئهم أنْ يفتنهم وإنَّ فرعونَ لعَالٍ فى الأرض وإنَّهُ لَمِنَ المسرفينَ) .

فقد جاء فى هذه الآية كلمة تشير إلى ذلك الأصل ، وهى كلمة — ذرية — لأن الذرية الولد والنسل، مأخوذة من الذرّ وهو صغار النمل ، فتفيد هذه الكلمة أنه لم يؤمن بموسى إلا أولاد قومه ، وهم صغارهم وشبابهم من فتيان وفتيات ، وهذا لأنه أتى بدعوة جديدة ، فبادر الشباب إلى الإيمان بها ، لأنهم أنصار كل جديد ، وأبى الشيوخ أن يؤمنوا بها ، لأنهم يجمدون على القديم ، وينفرون من كل جديد .

وقد اختلف فى تلك الذرية التى آمنت بموسى ، فقيل إنها كانت من بنى إسرائيل قوم موسى ، فيكون الضمير فى (قومه) عائداً إلى موسى ، وقيل إنها كانت من المصريين قوم فرعون ، فيكون الضمير فى قومه عائد إلى فرعون ، ولا شك أن سبق هذه الذرية إلى الإيمان بموسى كان فى أول بعثته ، وحين كان بمصر بين فرعون وقومه .

وقد نزلت هذه الآية لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه لم يؤمن به فى أول بعثته إلا ذرية من قومه أيضاً ، وأما شيوخهم ورؤساؤهم فقد صعب عليهم أن يتركوا قديمهم ، لأن إلفه كان قد تمكن من نفوسهم ، فجمدوا عليه بطول الزمان ، وقالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ، وذلك هو التقليد الذى يؤثره مثلهم على التجديد ، لأنه مع هذا يجعلهم تبعاً لمن دونهم فى السن ، وفى الجاه ، وفى الغنى ، وغير هذا من أمور الدنيا .

وقد كان هذا مما يحزن النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان يحب أن يؤمن به رؤساء قومه وشيوخهم ، ليؤمن غيرهم تبعاً لهم ، ولا يلاقى ما يلاقى من العناء فى دعوتهم ، فنزلت تلك الآية لتبين له أن شأنه فى هذا كان شأن الأنبياء قبله ، وهو شأن كل دعوة جديدة كدعوته ، فترضى نفسه بمن آمن به من أولئك الشباب ، و يعرف أن أولئك الرؤساء والشيوخ لا يؤمنون به إلا بعد جهاد طويل شاق ، وهكذا تشير الآية إلى سبق شباب قريش إلى الاسلام ، و إلى أن الشباب هم أنصار كل دعوة جديدة .

بعث النبي صلى الله عليه وسلم فى سن الشباب :

بعث النبي صلى الله عليه وسلم فى سن الأربعين بعد أن اكتمل

شبابه ، وتهيأ للرسالة التي اختير لها ، فالتف حوله أولئك الشباب من قريش، وأحجم عنه أولئك الرؤساء والشيوخ . لأنهم أنفوا أن يتبعوه وهو أقل منهم سِنًّا وجاها (وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القريتينِ عظيم) — ٣١ — سورة الزخرف .

روى عن عفيف الكندى رضى الله عنه أنه قال : جئت فى الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن أبتاع لأهلى من ثيابها وعطرها ، فأتيت العباس ابن عبد المُطَّلِب ، وكان رجلا تاجرا ، فأنا عنده جالس حيث أنظر إلى الكعبة ، وقد حلَّقت الشمس فى السماء فارتفعت وذهبت ، إذ جاء شاب فرمى ببصره إلى السماء ، ثم قام مستقبل الكعبة ، ثم لم ألبث إلا يسيرا حتى جاء غلام فقام على يمينه ، ثم لم ألبث إلا يسيرا حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشابُّ ، فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة ، فسجد الشاب ، فسجد الغلام والمرأة ، فقلت : ياعباس ، أمر عظيم ! فقال العباس : أمر عظيم ! أتدرى من هذا الشاب ؟ قلت : لا . قال : هذا محمد بن عبد الله أخى . أتدرى من هذا الغلام ؟ قلت: لا . قال: هذا علىٌّ ابن أخى. أتدرى من هذه المرأة؟ قلت: لا . قال: هذه خديجة بنت خُوَيْلِد زوجته، إن ابن أخى هذا اخبرنى أن ربَّه

ربُّ السماء والأرض أمره بهذا الدين الذى هو عليه ، ولا والله ما على الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة(١) .

وروت كتب السيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه قوله تعالى (وأنذرْ عشيرتكَ الأقربينَ) جمع بنى عبد المُطَّلِب فى دار أبى طالب — وكانوا خمسة وأربعين — وصنع لهم طعاما ، فلما أكلوا قال لهم :

يابنى عبد المطلب ، إنى والله ما أعلم شاباً جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، جئتكم بكلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين فى الميزان : شهادة أنْ لا إلهَ إلاَّ الله وأنى رسول الله .

فتكلم القوم كلاما لَيِّنًا غير عمه أبى لهب ، فإنه قال : خذوا عليه قبل أن تجتمع عليه العرب ، فإن أسلمتموه إذن ذللتم ، وإن منعتموه قتلتم .

أخبار فى سبق الشباب إلى الاسلام :

ذكر المغيرة بن شُعْبة فى قصة خروجهم من الطائف إلى المُقَوْقِس بمصر أنهم دخلوا عليه فقال لهم : كيف خلصتم إلىَّ ومحمد وأصحابه بينى وبينكم ؟ قالوا : لصقنا بالبحر . قال : فكيف صنعتم فيما دعاكم

(١) صحح بعضهم هذا الحديث ، وجاء فى كتاب ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٠٤ — أن البخارى لم يصححه .

إليه ؟ قالوا : ماتبعه منا رجل واحد . قال : فكيف صنع قومه ؟ قالوا : اتبعه أحداثهم ــ يشيرون بهذا إلى سبق أولئك الشباب إلى الاسلام .

وقال أبو حمزة الخارجى فى خطبته فى مكة حين غلب عليها فى آخر دولة بنى أمية : يأهل الحجاز ، تعيّروننى بأصحابى ، وتزعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شبابا .

وجاء فى رسائل إخوان الصفا : واعلم أن الله تعالى ما بعث نبيا إلا وهو شابٌّ ، ولا أعطى لعبد حكمة إلا وهو شاب ، كما ذكرهم فى مدحهم فقال عزَّ اسمه (إنهمْ فتية آمنُوا بربهمْ وزدناهمْ هُدًى) وقال تعالى (إنَّا سمعنا فَتىً يذكرهمْ يقالُ لهُ إبراهيمُ) .

الدعوة السرية

كيف بدأت الدعوة الاسلامية :

بعث النبي صلى الله عليه وسلم فى سنة ٦١٠ من ميلاد المسيح عليه السلام ، فأخذ يدعو من يأنسُ فيه الخير من قومه ، ولم يهتم قومه بدعوته فى أول أمرها ، فآمن به عدد من أحداثهم بلغ نَيِّفاً وثلاثين ، وكانوا متفرقين فى مكة ، ليست لهم دار تجمعهم ، ولا مكان يؤدون فيه شعائر دينهم ، ويستمعون فيه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فيعلمهم أحكام الاسلام ، ويتلقَّوْنَ عنه الوحى ، وكانوا إذا أرادوا الصلاة أو نحوها قصدوا بعض الشِّعاب التى حول مكة ، فأدَّوْا ما يريدونه بعيدا عن قومهم .

ولم يزالوا على هذا الحال حتى خرج سعد بن أبى وقَّاص وجماعة من أولئك الشباب إلى بعض شعاب مكة ، ليؤدوا صلاتهم فيه على عادتهم ، فرآهم نفر من مشركى قريش وهم يصلون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ، وانتقل الأمر من المناكرة إلى المقاتلة ، فضرب سعد بن أبى وقاص رجلا منهم بِلَحْى بعير من العظام المنثورة هناك فشَجَّه .

بدء الدعوة السرية :

فلما حدث ذلك رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن قومه لا يسكتون عليه بعده ، وأنهم سيأخذون فى معارضة دعوته ، ويحاولون فتنة أولئك الشباب فيها ، وهم لم يتمكنوا بعد منها ، ولم تتمكن هى من نفوسهم كما يريد أن تتمكن ، بحيث لا تؤثر فيها فتنة ، ولا يصرفهم عنها ما يلاقون من عذاب وقسوة .

فرأى أن يدعو إلى الاسلام سِرًّا ، وأن يتخذ لأولئك الشباب دارا يجتمع بهم فيها ، فلا يراهم أحد من قومه ، وهذا هو الطريق الذى تأخذه كل دعوة جديدة إذا لقيت معارضة ومناهضة ، فإنها تأخذ طريق السر إلى أن تقوى وتتمكن ، وإلى أن تصير عقيدة تخالط اللحم والدم ، فإذا ظهرت بعد ذلك كان أصحابها أقوى على الجهاد فى سبيلها ، وأقوى على احتمال ما يلاقون من الفتنة فيها .

وقد وَقَى النبي صلى الله عليه وسلم بهذا التدبير الحكيم أولئك الشباب من الاصطدام بقومهم فى أول أمرهم ، وسار بهذا على سُنَّة الله تعالى فى التَّدرُّج ، وكان يجتمع بأولئك الشباب فى الدار التى اختارها لهم ، فيؤدى بهم شعائر دينهم ، ويمكن لدعوته فى نفوسهم ، ويعلمهم أحكام الاسلام ، وعلوم الدين ، وما يلزمهم من أمور دنياهم فى حياتهم .

فكانت تلك الدار لهم مسجدا للعبادة ، ومدرسة للتعليم والتهذيب ، وندوة للشورى وتدبير الأمور .

مختبأ الدعوة الاسلامية بمكة :

وكانت هذه الدار التي اختبأ بها أولئك الشباب لشابّ منهم يُسَمَّى الأرقم بن أبي الأرقم المخزوميّ ، وهي تقوم بأصل الصفا ، وهو من مشاعر مكة بِلِحْفِ جبل أبي قُبَيْس ، ويوجد هذا الجبل بالجنوب الشرقي من مكة .

فاتخذها النبي صلى الله عليه وسلم مختبأ لهم ، فنالت بهذا شرف إيواء الاسلام في نشأته ، وحمايته في ضعفه ، حتى احتل من أولئك الشباب سُوَيْدَاوَاتِ قلوبهم ، وصار أعز عليهم من نفوسهم وأموالهم وأهلهم وعشيرتهم ، يهون عليهم كل عزيز في سبيله ، ويثبتون عليه ولو تألَّبَ أهل الدنيا كلهم عليهم .

تاريخ المختبأ إلى عصرنا :

وقد عرف المسلمون لهذه الدار الكريمة ذلك الفضل ، وكان أول من اهتم بأمرها أبو جعفر المنصور ، وهو ثاني ملوك بني العباس (١٣٦ — ١٥٨ هـ ٧٥٤ — ٧٧٥ م) فاشتراها من ورثة الأرقم بن أبي الأرقم ، تقديرا منه لفضلها ، واهتماما بشأنها ، لأنها أول دار آوت الاسلام ،

وحازت ذلك الشرف العظيم، ثم وهبها لابنه المهدى (١٥٨ — ١٦٩ هـ ٧٧٥ — ٧٨٥ م) وكانت زوجه الخَيْزُران ذات منزلة عنده، فآثرها بهذه الدار الكريمة، ووهبها لها، وهى أم ولديه: موسى الهادى وهارون الرشيد.

وقد اهتمت هذه السيدة الكريمة بهذه الدار حين آل إليها ملكها، وعرفت لها منزلتها الدينية والتاريخية، فعملت على أن تعود بها إلى سيرتها الأولى، وتجعلها مكانا مقدساً للعبادة والتعليم، فاشترت دوراً بجوارها وضمتها إليها، وبنت فوقها مسجداً عرف بدار الخيزران أو مسجد المُخْتَبَى.

وقد جاء ذكر هذا المسجد فى كتاب (الإعلام بأعلام بيت الله الحرام) لقطب الدين الحنفى من مؤرخى القرن العاشر الهجرى. فذكر فيه أنه سمى بذلك لاختفاء النبى صلى الله عليه وسلم فى الدار التى أنشئ فيها. ثم ذكر أن إبراهيم بك ابن تغرى بردى دفتر دار مصر فى عهد السلطان سليمان القانونى (٩٢٦ — ٩٧٤ هـ ١٥١٩ — ١٥٦٦ م) كان قد كُلِّفَ من ابنة هذا السلطان بإصلاح عيون زُبَيْدَةَ بمكة[1] فلما ذهب إلى مكة لإصلاحها اشترى الدور التى يقع فيها مسجد المختبي،

---

(١) تنسب هذه العيون إلى زبيدة زوج هارون الرشيد.

ثم أهداها إلى ولىّ عهـد السلطان سليمان ، وهو ابنه السلطان سليم الثانى (٩٧٤ — ٩٨٢ هـ ١٥٦٦ — ١٥٧٤ م) ففرح بها فرحا عظيما ، وكان ينوى أن ينشئ فيهـا قصوراً عظيمة يجعلها وقفاً على فقراء مكة وما حواليها ، ولـكنه مات قبل أن يتمكن من هـذا العمل العظيم ، فآل ملك هذه الدور إلى ابنه السلطان مراد الثالث (٩٨٢ — ١٠٠٣ هـ ١٥٧٤ — ١٥٩٥ م) فتركها على ما كانت عليه ، ولم يعمل فيها شيئاً .

وقد جاء ذكر ذلك المسجد بعد هذا فى كتاب (الرحلة الحجازية) لمحمد لبيب البتنونىّ ، وكان قد سافر إلى الحج فى صحبة الخديوى عباس حلمى الثانى سنة ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م ، فذكر فيه أن دار الأرقم المخزومى المعروفة بدار الخيزران توجد فى زُقاق على يسار الصاعد إلى الصَّفا ، وهى الدار التى كان يختبئ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر بعثته هو ومن آمن معه ، وباب هذه الدار يفتح إلى الشرق ، ويُدْخَل منه إلى فسحة سماوية طولها نحو ثمانية أمتار فى عرض ٤ ، وعلى يسارها (ليوَان) مسقوف على عرض نحو ثلاثة أمتار ، وفى وسط الحائط على يمينها باب يُدْخَل منه إلى غرفة طولها ثمانية أمتار فى عرض نحو نصف ذلك ، وفى زاويتها الشرقية الجنوبية حجران من الصوَّان مكتوب فى أعلاهما بالحرف البارز :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، في بيوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيها اسمُهُ يُسَبِّحُ لهُ فيها بالْغُدُوِّ والآصالِ — هذا مختبأ رسول الله ودار الخيزران ، وفيها مُبْتَدَأ الاسلام ، أمر بتجديده الفقير إلى مولاه أمين الملك مصلح ، ابتغاء ثواب الله ورسوله ، ولا يضيع أجر من أحسن عملا » .

ومكتوب في أسفلهما :

« هذا مختبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المعروف بدار الخيزران ، أمر بعمله و إنشائه العبد الفقير لرحمة الله تعالى جمال الدين شرف الاسلام أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الأصفهانيّ وزير الشام والمَوْصِل ، الطالب الوصول إلى الله تعالى ، الراجي لرحمته ، أطال الله في الطاعة بقاه ، وأناله في الدارين مُناه ، في سنة خمس وخمسين وخمسمائة » .

وهذا هو حال تلك الدار العظيمة في عصرنا ، وهي الدار التي لجأ الاسلام إليها ضعيفاً فآوته ، واحتمى بها خائفاً فحمته ، وهي المسجد الاسلامي الأول ، والمدرسة الإسلامية الأولى ، ودار الندوة الإسلامية التي خلفت دار ندوة قريش في الجاهلية .

لقد تخرج من هذه الدار العظيمة أبطال الاسلام ، بل أبطال العالمَ ، وأعظم من أنجبت الإنسانية ، من العلماء النابغين ، والقواد الفاتحين ، الذين أنشأوا أكرم دولة على وجه الأرض ، وأحلُّوا العَدل والتواضع مكان الطغيان والجَبْرُت ، فانهار بعدلهم طغيان الأكاسرة والقياصرة ، وذل لتواضعهم جبروت الفُرْس والرُّوم .

أفما يجب علينا أن ننشئ مكانها أكبر جامعة إسلامية ، تعيد لها سيرتها الأولى ، وتحيي تلك الذكريات الكريمة ، وتجعل مكة أم القُرى علماً ، كما هى أم القرى ديناً وفضلا .

مدة الدعوة السرية :

إبتدأت الدعوة السرية الإسلامية فى السنة الأولى لبعثة النبى صلى الله عليه وسلم على الأرجح ، ومكثت نحو أربع سنين فى بعض الروايات ، وقد ذكر ابن الجوزى فى كتاب (تاريخ عمر بن الخطاب) أنه أسلم فى السنة السادسة من الهجرة ، وقد كان إسلام عمر فى آخر الدعوة السرية .

ولا شك أن هذه المدة تكفى لتمكين تلك الدعوة فى نفوس أولئك الشباب ، وإعدادهم للجهاد الذى ينتظرهم فى سبيلها ، والتضحية التى يقدمونها عن طيب خاطر ، ورضا نفس ، فلا تؤثر فيهم فتنة ، ولا

يرهبهم وعيد ، ولا يخيفهم تعذيب ، ولا تصرفهم قوة عنها ولو كانت قوة أهل الدنيا كلهم ، لأنهم أخذوا من دروسها ما اختلط بلحمهم ودمهم ، وتلقوْا من وحيها ما سما بهم من عالَم الأرض إلى عالَم السماء ، ومن يسمو هذا السمو لا تقهره قوة في الأرض ، ولا يغلبه على دينه أحد .

دروس المختبأ :

وقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المدة من أولها إلى آخرها يربي أولئك الشباب على الأخلاق الفاضلة ، لأن الأخلاق أسمى شيء في دعوته ، وقد بلغ من اهتمامه بها أنه قال : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .

فعلمهم فضل الصبر على الشدائد ، والشجاعة في الحق ، والإخلاص للعقيدة ، والثبات على العهد ، والإيثار على النفس ، إلى غير هذا من الأخلاق التي تجعل من الرجل أمّة ، وتجعل العشرين من المؤمنين يغلبون مائتين ، وتجعل المائة يغلبون ألفاً ، وتجعل منهم أقوى جنود العالَم إيمانا ، وأشدهم في الحرب ثباتاً ، ليقفوا بهذه الأخلاق في وجه هذه الجموع الكثيرة التي ستتألب عليهم ، وفي وجه الدنيا التي ستجتمع كلمتها على حربهم .

وقد مكث أيضاً فى هـذه المدة من أولها إلى آخرها يعلمهم العلم والحكمة ، علم الدين وعلم الدنيا ، لأن الأخلاق لابد لها من علم تقوم على أساسه ، وتهتدى بهديه ، وقد حوى القرآن الكريم من علم الدين والدنيا ماحوى ، وحوى الحديث الشريف من علم الدين والدنيا ماحوى ، فتلقى منه أولئك الشباب فى هذه المدة ما تلقَّوْا ، حتى كانوا أقوى أهل الدنيا عقولا ، وأكمل أهل الدنيا علماً ، وصار علم أهل الكتاب قبلهم خرافة إذا قيس بعلمهم ، وأسطورة إذا وزن بميزانهم ، ولا شك أن كل ما ظهر من العلوم فى الاسلام قد بذرت فى ذلك المختبأ بذوره الأولى ، ووضعت أصوله التى تفرع منها ، حتى صار أولئك الشباب هم الأساتذة الأولين للاسلام ، وصار كل من أتى بعدهم تلاميذ لهم .

إشتراكية المختبأ :

وكان أولئك الشباب يعيشون فى مُختَبَئهم عيشة اشتراكية ، لأنهم كانوا قد قطعوا مابينهم وبين أهلهم ، وكان كثير منهم ليس له مال ينفق منه ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يضم الفقير منهم إلى الغنى ، كما ضم خَبَّاب بن الأرتّ إلى سعيد بن زيد ، فكان يصيب من طعامه ويعيش فى كَنَفِهِ ، لأن خباباً كان رقيقاً قبل إسلامه ، وكان سعيد من

بنى عَدِىٍّ بن كعب ، و بنو عدى من أقوى بطون قريش ، وكان زوجا لفاطمة بنت الخطاب ، وهى أخت عمر بن الخطاب ، فكان خباب يختلف إليها ليقرئها القرآن ، فى نظير مايجده فى كنف زوجها .

ثم سَنَّ النبى صلى الله عليه وسلم لأولئك الشباب نظام المؤاخاة ، فكان يؤاخى بين كل شابَّين منهم ، كما آخى بين طلحة بن عُبَيْد الله والزُّبَير بن العوَّام ، وقد آخى فى هذا بينه و بين علىٍّ بن أبى طالب ، وقد كان لهذا النظام أثره فى تقوية الرابطة بينهم ، وفى قطع العلاقة بينهم و بين أهلهم من المشركين ، وكانوا يتوارثون بذلك الإخاء إلى أن نسخ بحكم الإرث بعد هجرتهم إلى المدينة .

وقد كان ذلك النظام أُدخل فى باب الاشتراكية من نظام الزكاة الذى شرع فى الاسلام ، ولكن الاسلام رأى أن يكتفى بالزكاة فى باب الاشتراكية ، لأنها اشتراكية معتدلة ، تجعل للفقراء ونحوهم شركة فى أموال الأغنياء ، ولا تنكر حق الملك كما تنكره الاشتراكية الحديثة ، لأن حق الملك من الحقوق التى لايتم نظام العالَم إلا بها ، ولا يمكن أن نحمل الأفراد على السعى إلا فى ظله ، والاعتدال فى كل شئ محمود ، وقد اتفقت على مدحه الحكمة السماوية والوضعية .

ولا شك أنه ليس للفقير بعد الزكاة حق فى أن يشارك الغنى فى عيشته ، كما كان يقضى بهذا نظام المؤاخاة ، لما يدعو إليه من المضايقة فى العيشة ، وقد يدعو الفقير إلى إيثار التواكل على العمل ، وإنما لجأ إليه الاسلام فى نشأته لأنه كان فى حالة إستثنائية دعت إليه ، فلما زالت تلك الحالة اكتفى بنظام الزكاة فى باب الاشتراكية ، لأن الفقير يأخذ فيها نصيبه من مال الغنى وهو بعيد عنه ، فلا يضايقه فى عيشته ، ولا يعيش فى كنفه عيشة عجز وتواكل ، وقد كانت قريش تضيق على أولئك الشباب فى مكة وجوه الرزق ، وتسد فى وجوههم أبواب العمل ، فكان نظام المؤاخاة يخفف عنهم شيئاً من ذلك الضيق ، فلما هاجر أولئك الشباب الى المدينة اتسعت أمامهم وجوه الرزق ، فزالت حاجتهم إلى نظام المؤاخاة ، ولم يبق لهم من نظام الاشتراكية إلا نظام الزكاة ، لأنه يكفل للفقير حقه فى مال الغنى ، على أحسن وجه ، وعلى أدق نظام .

الجهر بالدعوة

كيف بدأ الجهر بالدعوة :

مكث النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام سراً في تلك المدة السابقة، وقد انضم اليه في آخرها شابان من أقوى شباب قريش : وهما عمر بن الخطاب ، وحمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان إسلام عمر بعد إسلام حمزة ، فلما أسلم كَبَّر أهل تلك الدار الأرقمية تكبيرة سمعها كل من كان بالكعبة ، وفرحوا بإسلامه أكبر فرح ، لأنه كان أقوى شابّ في مكة ، وكان لايخاف في الحق لومة لائم ، وقد قال للنبي صلى الله عليه وسلم بعد إسلامه : يارسول الله ، ألسنا على الحق ؟ قال : بَلَى . فقال : فَفِيمَ الاختفاء ؟ وما زال يلحُّ على النبي صلى الله عليه وسلم حتى استجاب له ، وعزم على الجهر بالدعوة .

مظاهرة الشباب في خروجهم من المختبأ إلى الكعبة :

فلما عزم النبي صلى الله عليه وسلم على الجهر بالدعوة جمع أولئك الشباب في المختبأ ، ثم خرج بهم منه إلى الكعبة ، فساروا في صفين : عمر أمام أحدهما ، وحمزة أمام الثاني ، وكل واحد منهم شاهر سيفه ،

وأخذوا طريقهم إلى الكعبة فى هذا النظام العجيب الذى لم تألفه قريش، ولم تعرفه العرب، والذى يدل على ما سيكون لهذا الدين الجديد من قوة يستمدها من قوة أولئك الشباب، ومن أخذ بالنظام الذى يقضى على فوضى الجاهلية.

فلما وصل النبى صلى الله عليه وسلم بهم فى هذا النظام إلى الكعبة، صلى بهم فيها، ثم طاف بها سبعاً، ثم رجع بهم فى هذا النظام إلى المختبأ، فأصابت قريشاً كآبة لم يصبهم مثلها، وأدركوا من هذا الوقت خطر هذه الدعوة، و بلغ الحقد منهم مبلغه على أولئك الشباب الذين تركوا دينهم إلى هذا الدين الجديد.

بدء اضطهاد الدعوة:

وهنا بدأ اضطهاد قريش لأولئك الشباب، ولم يجدوا إلا أن يأخذوهم بالعذاب ليردوهم إلى دينهم، فأخذت كل عشيرة من عشائرهم تعذب من أسلم من شبابها، و ترى ما من العذاب ماسنذكره فى الكلام على تاريخ كل واحد منهم، فلم يؤثر ذلك فيهم، ولم يرد واحدامنهم عن دينه إلى دينهم، وقد كان تعذيبهم يختلف باختلاف أحوالهم، كما سيأتى فى الكلام على عمّار بن ياسر، فلما رأوا أن ذلك التعذيب لم يؤثر فيهم لجأوا إلى وسيلة ظنوها تصرفهم عن دينهم، فألجئوهم إلى شِعْب

أبي طالب ، وقاطعوهم فيه ، لا يبيعونهم شيئاً ، ولا يناكحونهم ، ولا يعاملونهم ، فنالهم من ذلك جهد شديد ، ولكنهم صبروا عليه أيضاً ، حتى أيس قومهم منهم ، فتركوا مقاطعتهم من أنفسهم ، لأنهم لم يصلوا بها إلى غرضهم من صرفهم عن دينهم .

ولكنهم عادوا إلى أخذهم بالتعذيب ، حتى ألجئوا كثيراً منهم إلى الهجرة إلى الحبشة ، فراراً من ذلك الاضطهاد ، وابتعاداً عن ذلك الأذى ، وقد بقي النبي صلى الله عليه وسلم في مكة مع نفر قليل منهم ، ولم يهاجر إلى الحبشة معهم ، لأنها لم تكن دار هجرتهم ، لأن الحبشة أمة غريبة عن العرب ، ولا بد أن تأخذ هذه الدعوة طريقها أولا بين العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، ثم تأخذ طريقها بعدهم إلى الشعوب الأخرى ، كما تقضي بهذا سُنَّة التَّدَرُّج ، وهي سنة من سُنَن الله تعالى .

الهجرة إلى المدينة :

وقد أدرك الله أولئك الشباب برحمته، فهدى أهل يَثْرِبَ (المدينة) إلى الاسلام ، وكان هذا بعد أن مضى عليهم في مكة ثلاث وعشرون سنة ، يقاسون فيها من العذاب ما يقاسون ، فلم يجدوا إلا أن يهاجروا إلى تلك المدينة التي هدى الله أهلها إلى الاسلام ، ليتعاونوا معاً على

نصرة هذا الدين ، ويشنُّوها حربا على أولئك الذين أخرجوهم من ديارهم بغير حق ، ولم يقلعوا عن اضطهاد من قعد به العجز عن الهجرة معهم .

وقد فاز أهل المدينة بهذا الفضل على أهل مكة ، لأنهم كانوا أقرب منهم إلى فهم هذا الدين ، وذلك بسبب مجاورتهم لليهود ، وكان اليهود أهل توحيد ، وكانوا يستفتحون على العرب بنبي ينصر أهل التوحيد على أهل الشِّرْك ، أما أهل مكة فكانوا زعماء دين الشرك بين العرب ، فلم يكن من السهل عليهم أن يتركوا زعامتهم لهذا الدين الجديد .

أثر الشباب فى الإسلام

قوة الاسلام وقوة الشباب :

اجتمع للإسلام قوتان نال بهما من الظفر والنجاح مالم ينله دين قبله : قوة الدعوة التى أتى بها ، وقوة أولئك الشباب الذين آمنوا به ، وقد أثرت قوة دعوته فى نفوسهم فزادتهم قوة إلى قوتهم ، وأثرت قوة أولئك الشباب فى قوة دعوته فزادتها قوة إلى قوتها ، وأخذت القوتان تجاهدان أروع جهاد فى نشر دعوته ، و إعلاء كلمته ، حتى عم الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وحتى عَمَّ ممالك كِسْرَى فى الشرق ، وشمل كثيراً من ممالك قَيْصَرَ فى الغرب ، فى أقل من ربع قرن .

وقد تهيأ له هذا النصر السريع بقوة دعوته أوَّلاً ، و بقوة أولئك الشباب ثانياً ، لأنهم كانوا بين سياسى مُحَنَّك ، وقائد مُظَفَّر ، وجندى لايهاب الموت ، وكلهم أقوياء فى إيمانهم ، أقوياء فى نفوسهم ، أقوياء فى أجسامهم ، ومن كان هذا شأنه لايغلبه أحد ، ولايقف أمامه عدو ، وقد رباهم الاسلام تربية عسكرية قوية ، حتى جعل الواحد منهم يَعُدُّ

بعشرة رجال، كما قال تعالى فى الآية ـ ٦٥ ـ من سورة الأنفال (يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون).

وقد نوه أيضاً بقوتهم وشدتهم فى الآية ـ ٢٩ ـ من سورة الفتح، فقال:
(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما).

الاسلام والقوة:

وقد مجد الاسلام بهذا القوة ولم ينتقص من شأنها، واعتز بها فى أتباعه وجنوده، كما أمر أتباعه بإعداد مايستطيعون من القوة لأعدائهم، فقال تعالى فى الآية ـ ٦٠ ـ من سورة الأنفال:

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم

وما تنفقوا مِنْ شىْء فى سبيلِ اللهِ يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تظلمونَ).

وكما مدح موسى بالقوة على لسان إحدى ابنتى شعيب ، فقال فى الآية - ٢٦ - من سورة القَصَص.

(قالت إحداهما يا أبتِ استأجرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ استأجرتَ القوىُّ الأمينُ).

وكما مدح القوة ذم من يرضى بالاستضعاف من أتباعه ، فقال فى الآية - ٩٧ - من سورة النساء (إنَّ الذين توفَّاهمُ الملائكةُ ظالمِى أنفسهم قالُوا فِيمَ كنتم قالُوا كنَّا مستضعفين فى الأرض قالوا ألَمْ تكنْ أرضُ اللهِ واسعةً فتهاجروا فيها فأولئك مأواهمْ جهنمُ وساءتْ مصيراً).

ولكن الاسلام لا يغالى فى تمجيد القوة كما يغالى فى تمجيدها أهل عصرنا ، حتى قالوا فى هذا كلمتهم المشهورة (القوة فوق الحق) وحتى أباحوا للأقوياء أن يعملوا على القضاء على الضعفاء ، كما كان يعمل أهل أسبرطة من اليونان ، فعادوا بها جاهلية غشمة ، لا رحمة فيها ولا رأفة ، ولا حق فيها ولا عدل ، ولكن طغيان وجَبَرُوت وظلم.

فالاسلام إذا كان قد مجَّدَ القوة فقد جعل الحق فوقها ، وحفظ للضعيف حقه بجانب القوىِّ ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : المؤمن القوىُّ خير من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، إحرص على ما ينفعك ،

واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل قَدَّر الله ، وما شاء الله ، فإن لو تفتح عمل الشيطان .

وقد مجَّد الاسلام القوة ليدافع بها عن نفسه ، كما قال تعالى فى الآية ـ ٣٩ ـ من سورة الحج (أُذِنَ لِلَّذين يقاتلونَ بأنهمْ ظُلِمُوا وإنَّ اللهَ على نصرهمْ لقديرٌ) ولم يمجد القوة ليعتدى بها على حقوق الناس فى الحياة ، ولا ليكرههم بها على الإيمان به ، كما قال تعالى فى الآية ـ ٢٥٦ ـ من سورة البقرة (لا إكراهَ فى الدِّينِ قدْ تبيَّنَ الرشدُ منَ الغىِّ فمَنْ يكفر بالطاغوتِ ويؤمنْ باللهِ فقدِ استمسكَ بالعُرْوَة الوثقى لا انفصامَ لها والله سميعٌ عليمٌ) .

رأى نيتشة فى أتباع الأديان لا يأتى فى أتباع الاسلام :

وبهذا لا يأتى رأى نيتشة فيلسوف الألمان فى أتباع الأديان فى أتباع الاسلام ، وهو صاحب مذهب السبرمان (الإنسان الكامل) وكان يرمى الأديان بأنها تقدس الضعف ، ويذهب إلى أن أتباعها كانوا من الضعفاء والعجزة ، ولا شك أن هذا لا يأتى فى أتباع الاسلام من أولئك الشباب الأقوياء ، لأنهم كانوا رجال حرب ، وأصحاب جلاد ،

حتى إن كثيراً منهم لم يمت على فراشه ، بل خَرَّ صريعاً فى ميدان الجهاد ، ونال شرف الشهادة فى سبيل الله .

وقد يقال إن هذا لا يوافق ما أجاب به أبو سفيان هِرَقْل ملك الروم حين سأله عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : فأتباع الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فأجابه أبو سفيان : تبعه منا الضعفاء والمساكين والأحداث . فقال له هرقل : إن الضعفاء هم أتباع الرسل .

والجواب أن أبا سفيان لا يعنى بالضعفاء العجزة ، وإنما يعنى بهم غير الأشراف والرؤساء ، لأن هِرَقْل سأله : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقابل بين الأشراف والضعفاء ، فيكون مراده بالضعفاء غير الأشراف لا العجزة ، وقد كان أولئك الشباب لم يصلوا إلى ما وصل إليه آباؤهم من الرياسة والشرف ، فلما تركوهم إلى هذا الدين الجديد حرموهم من أموالهم ، وطردوهم من بيوتهم ، فأصبحوا فى ذلك الضعف الذى يعنيه أبو سفيان ، ولكنهم مع هذا هم أبناء أشراف قريش ، وأكثرهم ينتمى إلى أكرم بطونها ، ولم يكن بينهم إلا عدد قليل من غير أبناء أشرافها ، وسيأتى بيان هذا فى تاريخ كل واحد منهم .

أسماء الشبان

أسماء الشبان :

كان عدد الشُّبَّان الذين أسلموا فى العهد السرى للإسلام أربعين شابًّا ، لأن عمر بن الخطاب كان آخرهم إسلاما ، وقد روى عنه أنه قال : لقد رأيتنى وما أسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم إلا تسعة وثلاثون رجلا ، وكنت رابع أربعين رجلا ، فأظهر الله دينه ، ونصر نبِّيه ، وأعزَّ الاسلام .

وقد تتبعت من أسلم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك العهد حتى وصلت باجتهادى إلى أسمائهم ، ثم رتبتهم على ترتيب سنهم عند إسلامهم ، فجاءوا على هذا الترتيب :

(١) علىّ بن أبى طالب (٢) الزُّبَيْر بن العوَّام (٣) السائب بن عثمان بن مظعون (٤) طلحة بن عبيد الله (٥) الأرقم بن أبى الأرقم (٦) عبدالله بن مسعود (٧) سعيد بن زيد (٨) سعد بن أبى وَقَّاص (٩) عبد الله بن مظعون (١٠) مسعود بن ربيعة (١١) جعفر بن أبى طالب (١٢) صُهَيب الرُّومى (١٣) قُدامة بن مظعون (١٤) زيد بن حارثة (١٥) عثمان بن عَفَّان (١٦) عامر بن أبى وَقَّاص (١٧) السائب

ابن مظعون (١٨) طُلَيب بن عمير (١٩) خبّاب بن الارتّ (٢٠) عامر بن فُهيرة (٢١) مُصْعَب بن عُمير (٢٢) المِقْداد بن الأسود (٢٣) عبدالله بن جحش (٢٤) عمر بن الخطّاب (٢٥) أبو عُبيدة بن الجَرّاح (٢٦) عُتْبَة بن غَزْوان (٢٧) أبو حُذَيفة بن عتبة (٢٨) بِلال بن رَبَاح (٢٩) عمرو بن سعيد (٣٠) خالدبن سعيد (٣١) عيَّاش ابن أبي ربيعة (٣٢) عامر بن ربيعة (٣٣) نُعيم بن عبدالله (٣٤) عثمان ابن مظعون (٣٥) أبو سلمة بن عبد الأسد (٣٦) عبد الرحمان بن عَوْف (٣٧) عمّار بن ياسر (٣٨) أبو بكر الصِّدّيق (٣٩) حمزةبن عبد المُطَّلِب (٤٠) عُبيدة بن الحارث.

وقد وجدت بعد هذا أسماء أولئك الشبان فى كتاب (تاريخ عمر ابن الخطاب) لجمال الدين أبي الفرج بن الجوزيّ ، فوجدت ما فيه يخالف ما وصلت اليه باجتهادى بعض المخالفة ، وهذه هى أسماؤهم فيه :

(١) أبو بكر (٢) عثمان (٣) علىّ (٤) الزُّبير (٥) طلحة (٦) سعد (٧) عبد الرحمان (٨) سعيد (٩) أبو عُبيدة (١٠) حمزة (١١) عُبيدة (١٢) جعفر (١٣) مُصْعب (١٤) ابن مسعود (١٥) عيَّاش (١٦) أبوذَرّ (١٧) أبوسلمة (١٨) عثمان بن مظعون (١٩) زيد (٢٠) بلال (٢١) خباب (٢٢) المقداد (٢٣) صُهيب (٢٤) عمـار (٢٥) عامر

ابن فُهيرة (٢٦) عمرو بن عبسة (٢٧) نُعيم (٢٨) حاطب بن الحارث (٢٩) خالد بن سعيد (٣٠) خالد بن البُكير (٣١) عبد الرحمان بن جحش (٣٢) أبو أحمد بن جحش (٣٣) عامر بن البُكير (٣٤) عُتْبة (٣٥) الأرقم (٣٦) أنيس أخو أبى ذر (٣٧) واقد ابن عبدالله (٣٨) عامر بن ربيعة (٣٩) السائب بن عثمان بن مظعون (٤٠) عمر بن الخطاب .

فقد ترك أبو الفرج بن الجوزى من الأسماء التى وصلت اليها باجتهادى هذه الأسماء التسعة :

(١) عبد الله بن مظعون (٢) مسعود بن ربيعة (٣) قُدَامة بن مظعون (٤) عامر بن أبى وَقَّاص (٥) السائب بن مظعون (٦) طُلَيب ابن عُمَير (٧) عبد الله بن جحش (٨) أبو حُذَيفة بن عتْبه (٩) عمرو بن سعيد .

ثم أتى بدلها بهذه الأسماء :

(١) أبو ذَرّ (٢) عمرو بن عبسة (٣) حاطب بن الحارث (٤) خالد ابن البُكير (٥) عبد الرحمان بن جحش (٦) أبو أحمد بن جحش (٧) عامر بن البكير (٨) أنيس أخو أبى ذَرّ (٩) واقد بن عبدالله .

ولعل هذا الخلاف يرجع إلى الخلاف فى عدد أولئك الشباب ، فقد

اتفقوا على أن عمر بن الخطاب كان آخرهم إسلاماً ، ثم اختلفوا بعد هذا فى عددهم ، فروى ابن الجوزىّ عن داود بن الحصين والزُّهرىّ أنهما قالا : أسلم عمر بعد أربعين أو نَيِّف وأربعين بين رجال ونساء قد أسلموا قبله . وعن سعيد بن المسيّب أنه قال : أسلم عمر بعد أربعين رجلا وعشر نسوة . وعن عبدالله بن ثعلبة أنه قال : أسلم عمر بعد خمس وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة . ثم ذكر عن بعض العلماء أنه أتم الأربعين ، وذكر أسماءهم السابقة .

من أسلم من شباب البادية مع أولئك الشباب :

وقد ذكر ابن الجوزىّ مع أولئك الشباب من أسلم معهم من أهل البادية ثم لحق بها ، ولم يقم مع أولئك الشباب فى ذلك المختبأ ، فلم يكن من جماعتهم ، ولم يشاركهم فى ذلك العهد السرّىّ للدعوة الإسلامية ، كأبى ذرٍّ الغفارىّ ، وعمرو بن عبسة ، وأُنيس أخى أبى ذرٍّ .

فأما أبو ذر فإنه بلغه بالبادية مَبْعَثُ النبى صلى الله عليه وسلم ، فتزوَّد وحمل شنَّةً له فيها ماء حتى قدم مكة ، ثم أتى المسجد يلتمس النبى صلى الله عليه وسلم ، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل ، فاضطجع فرآه علىُّ بن أبى طالب ، فعرف أنه غريب ، فأخذه إلى منزل أبيه أبى طالب ، ومكث ثلاثة أيام لا يسأله عن أمره ، ثم قال له :

ألا تحدثنى ما الذى أقدمك ؟ قال : إن أعطيتنى عَهداً لَترْشِدَنى فعلت . فأعطاه علىٌّ عهده ، فأخبره بحقيقة أمره ، وكان هذا فى عهد اختباء النبى صلى الله عليه وسلم فى دار الأرْقم ، فقال له على : إذا أصبحت فاتبعنى ، فإنى إنَ رأيت شيئاً أخاف قمت كأنى أُرِيقُ الماء ، فإن مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلى . فلما أصبح سار به علىٌّ إلى دار الأرقم على ذلك الشكل الذى يدل على مبلغ حرصهم على إخفائها عن قومهم .

فلما دخل أبو ذَرّ على النبى صلى الله عليه وسلم عرض عليه الاسلام فأسلم ، ثم أمره أن يرجع إلى قومه ليدعوهم إلى الاسلام ، فقال أبوذر : والذى نفسى بيده لأصرخنَّ بها بين ظهرانَيْهم . ثم خرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته ـ أشهد أنْ لا إلَه إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

فقام القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه ، فأتى العباس بن عبد المُطَّلب فأكبَّ عليه ، وقال لهم : وَيْلَكم ، ألستم تعلمون أنه من غِفَار ، وأنه طريق تُجَّاركم إلى الشام . فلما سمعوا هذا تركوه .

وقد قيل إن إسلام أبى ذَرّ كان بعد أربعة أسلموا قبله ، وقد انصرف بعد إسلامه إلى قومه فدعا أخاه وأمه ، فقالا : ما لنا رغبة عن الذى دخلت فيه . وأسلما على يديه .

وأما عمرو بن عبسة فقد قال فى سبب إسلامه: إنه أُلْقِىَ فى روعى أن عبادة الأوثان باطلة، فسمعنى رجل وأنا أتكلم بذلك، فقال: ياعمرو، بمكة رجل يقول كما تقول . فأقبلت إلى مكة أسأل عنه، فأخبرت أنه مُخْتَفٍ لا أقدر عليه إلا بالليل يطوف بالبيت، فنمت بين الكعبة وأستارها، فما علمت إلا بصوته يُهَلِّلُ الله، فخرجت إليه فقلت : من أنت؟ قال : رسول الله . فقلت : وبِمَ أرسلك؟ قال : بأن يُعْبَدَ الله ولا يُشْرَكَ به شيء، وتُحقَنَ الدماء، وتُوصَلَ الأرحام. فبايعته على الاسلام .

ولما أسلم أمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يلحق بقومه، فإذا علم بخروجه أتاه، فذهب إلى قومه وأقام بينهم حتى قدم المدينة بعد غزوة الخندق، وقد قيل إنه كان رابع من أسلم .

أسماء الشابات :

قد سبق أن النساء اللاتى أسلمن فى العهد السرى للإسلام كن عشرا أو إحدى عشرة امرأة، وهذه أسماؤهن :

(١) خديجة بنت خُوَيلد (٢) أم أَيْمَنَ (٣) أسماء بنت أبى بكر (٤) فاطمة بنت الخطاب (٥) أسماء بنت عُمَيس (٦) أم سَلَمة بنت حُذَيفة (٧) أسماء بنت سلامة (٨) أمينة بنت خلَف (٩) فاطمة بنت صفوان (١٠) ليلى بنت أبى حَثْمَة .



شباب قريش

فى العهد السرى للاسلام

علي بن أبي طالب

نسبه: هو عليٌّ بن أبي طالب بن عبد المُطَّلب جد النبي صلى الله عليه وسلم، فهو أقرب أولئك الشبَّان اليه، وأمَسُّهم رَحِمًا به.

سنه عند إسلامه: أسلم عليٌّ وهو ابن ثمانٍ من السنين، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذه من أبيه ليربِّيَهُ في بيته، لأنه كان كثير العيال، وكانت قريش قد نزلت بها ضائقة، فضمه إليه تخفيفا عن عمه، كما ضم العباس بن عبد المطلب أخاه جعفرا إليه، وكان العباس أيسر إخوته.

وكان سبب إسلام عليٍّ أنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد إسلام زوجه خديجة بيوم واحد، فوجدهما يصليان، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد، ما هذا؟ فقال له: هذا دين الله الذي بعث به رسله، فأدعوك الى الله، وأن تكفر باللاتِ والعُزَّى. فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاضٍ أمرا حتى أُحَدِّث أبا طالب. فخشي النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤثر أبوه فيه، وكره أن يظهر أمره في ذلك الوقت، فقال لعليٍّ: إن لم تسلم فاكتم. فكتم عليٌّ ما رأى عن أبيه، ولكنه بات يفكر في هذا الدين الجديد،

وما طلع الصباح حتى بادر الى النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وحاز بهذا شرف السبق الى الاسلام بعد خديجة ، وقيل إن أبا بكر كان أسبق منه إسلاما .

موقفه فى دعوة بنى عبد المطلب الى الاسلام : ولما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم فى أول أمره بدعوته ، نزل عليه قوله تعالى فى الآية ـ ٢١٤ ـ من سورة الشعراء (وأنذرْ عشيرتَكَ الأقربينَ) فجمع بنى عَبد المُطَّلِب فى دار أبى طالب — وكانوا خمسة وأربعين رجلا — وصنع لهم طعاما ، فلما أكلوا قال لهم :

يا بنى عبد المُطلب ، إن الله قد بعثنى الى الخلق كَافَّةً ، و بعثنى اليكم خاصَّةً ، وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان — شهادة أنْ لا إله الا الله ، وأنى رسول الله — فمن يجيبنى الى هذا الأمر و يوازرنى على القيام به ؟

فسكت القوم .

وقام علىٌّ فقال : أنا يا رسول الله .

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : اجلس .

ثم أعاد النبى صلى الله عليه وسلم قوله ثانيا .

فسكت القوم .

وقام عليٌّ فقال : أنا يا رسول الله .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : اجلس .

ثم أعاد النبي صلى الله عليه وسلم قوله ثالثا .

فسكت القوم .

وقام عليٌّ فقال : أنا يا رسول الله .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : اجلس ، فأنت أخي .

ثم انصرف القوم وفيهم الأعمام وأبناء الأعمام ممن جمدوا على الشرك ، ولم يجب إلا هذا الغلام الصغير في سنِّه ، الكبير في عقله ، وكان أشدهم على النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبو لَهَب ، فقد جمد على القديم ، وانضم الى أعداء هذا الدين الجديد ، أما عمه أبو طالب فوقف موقفا وسطا بين القديم والجديد ، فلم ترض نفسه أن تؤمن بهذا الدين الذي جاء به ابن أخيه ، ولكنه حامى عنه عَصَبِيَّةً له ، ووقف في هذا موقفا يحمده له الاسلام ، ويشكره له المسلمون .

موقفه ليلة الهجرة إلى المدينة : ثم كانت الليلة التي أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يهاجر فيها إلى المدينة ، وقد علمت قريش بعزمه على الهجرة فيها ، فاجتمع رؤساؤها في دار النَّدْوَة — وهي دار قُصَيِّ بن كِلاب — واتفقت كلمتهم على قتله في هذه الليلة ، فأمر عليًّا

أن ينام على فراشه ليخدع قريشا ، فلا تطلبه حتى يبعد عن مكة ، فنام علىّ على فراشه وهو يعلم أنهم يريدون قتل من ينام على ذلك الفراش ، ولكن ما القتل فى نظر علىّ إذا كان فى سبيل هذا الدين الذى آمن به ؟ إنه الشرف والشهادة والفوز بالجنة ، إنه فداء لهذا النبى الذى بعث هداية ورحمة لهذا العالَم كله .

فلما أخذ علىّ مكانه من الفراش باتت قريش تنظر طول الليل من شقوق الباب ، فتجده على الفراش ، فتظنه طلبتها ، فلما تبين لها أنها باتت تحرسُ عليا لا محمداً أخذ الغضب منها كل مأخذ ، وأرسلت وراء النبى صلى الله عليه وسلم تطلبه ، ولكنه كان قد فاتها بفضل ما قام به علىّ من نومه على فراشه ، وقد أقام علىّ بعده بمكة ثلاثة أيام ، أدى فيها عنه الودائع التى كانت عنده للناس ، ثم لحقه إلى المدينة .

<u>جهاده فى الاسلام</u> : ثم جاهد علىّ فى الحروب التى قامت بعد الهجرة جهاد الأبطال ، وله فيها مواقف تدل على أنه كان يبلغ من الشجاعة أعلاها ، ومن البطولة أسماها ، ولا يكاد يشاركه فيها أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

فمنها موقفه فى غزوة أُحُد، وقد انهزم المسلمون، وذهبوا إلى المدينة لا يَلْوُونَ على أحد ، فثبت علىٌّ فى القتال ، وأخذ يبحث عن النبى صلى الله عليه وسلم ،فنظر فى القتلى فلم يجده، فقال : والله ما كان ليفرَّ ، وما أراه فى القتلى ، ولكن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه ، فما بقى خير من أن أقاتل حتى أُقْتَل . ثم كسر جفن سيفه ، وحمل على القوم فأفرجوا له ، فإذا بالنبى صلى الله عليه وسلم بينهم ، ولقد أصابته فى ذلك اليوم ستَّ عشرةَ ضربة ، كل ضربة تلزمه الأرض ، فيقوم ويحمل على المشركين ، ولا يبالى بما فيه من ذلك الضرب .

ومنها موقفه فى غزوة الخندق ، وكان المشركون قد جمعوا جيشاً عظيما حاصروا به المدينة ، فلما طال الحصار عليهم خرج عمرو بن ودّ فارس العرب المعروف ، فتوجه إلى المسلمين وقال : من يبارز ؟

فلم يجبه أحد من المسلمين .

فقام علىٌّ فقال : أنا يانبى الله .

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : إجلس ، إنه عمرو بن ود .

فنادى عمرو الثانية ، وجعل يوبخ المسلمين ويقول : أين جنتكم التى تزعمون أن من قُتِلَ منكم دخلها ؟

فلم يجبه أحد من المسلمين .

وقام عليٌّ فقال : أنا له يارسول الله .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إجلس ، إنه عمرو بن ود .

فنادى عمرو الثالثة .

فلم يجبه أحد من المسلمين .

فقام على فقال : أنا له يارسول الله .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنه عمرو .

فقال على وإن كان عمراً .

فأذن النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ فى الخروج إليه ، فلما رآه عمرو قال له : من أنت ؟ قال على . فقال عمرو : ابن أبى طالب ؟ قال : نعم . فقال عمرو : غيرك ياابن أخى من أعمامك من هو أشدّ منك ، وإنى أكره أن أهريق دمك . فقال عليّ : وأنا والله ماأكره أن أهريق دمك . فلما سمع عمرو هذا منه غضب ، وكان راكباً على فرسه وعلى واقف على قدمه ، فقال له على : كيف أقاتلك وأنت على فرسك ؟ ولكن انزل معى . فاقتحم عمرو عن فرسه ، وسل سيفه كأنه شعلة نار ، فعقر فرسه وضرب وجهه ، وأتى إلى على فاستقبله بدرقته ، فضربه عمرو فيها فقدّها ، وأثبت فيها السيف ، وأصاب رأس عليّ فشجّه ، فضربه عليّ على حبل عاتقه فسقط قتيلا ، فكبر المسلمون

فرحا بقتله ، ورجع على إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو متهلل ، فقال له : كيف وجدت نفسك معه ؟ قال : وجدته لو كان أهل المدينة فى جانب ، وأنا فى جانب ، لقدرت عليهم .

ومنها موقفه فى غزوة خيبر ، وكان لليهود بها حصون قوية ، فحاصرهم المسلمون أياما لا ينالون منها شيئاً ، إلى أن قال النبى صلى الله عليه وسلم : سأعطى الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبانه . فبات المهاجرون والأنصار يتمنَّوْنها ، فلما كان الغد سأل عن على بن أبى طالب ، فقيل له : إنه أرْمَدُ . فدعا به فتَفَلَ فى عينه فشفيت ، ثم أعطاه الراية ففتح الله بها على يديه تلك الحصون .

رأيه فى الخلافة : لما مات النبى صلى الله عليه وسلم رأى علىٌّ أنه أحق بالخلافة بعده لقرابته منه ، فكان يراها وراثة له ولأولاده من بعده ، ورأى جمهور المسلمين أن الخلافة يجب أن تكون شورى بين المسلمين ، فتولاها أبو بكر على هذا الأساس ، وتولاها عمر بعده على هذا الأساس ، ثم جعلها بعده شورى فى على وعثمان والزُّبَير وطلحة وسعد وعبد الرحمان ، فخلع عبد الرحمان منها نفسه على أن يكون له حق اختيار أحدهم ، ثم بدأ بعلى فقال له : أبايعك على كتاب الله وسُنَّة نبيه وسيرة أبى بكر وعمر . فأبى على أن يبايعه على سيرتهما ، لأن هذا

يخالف رأيه فى أن الخلافة حق له ولأبنائه من بعده بالوراثة ، فعرضها عبدالرحمان بعده على عثمان بذلك الشرط فقبل ، فبايعه الناس على هذا الأساس أيضاً .

خلافته وحربه مع طلحة والزبير ومعاوية : ثم تولى علىٌّ الخلافة بعد قتل عثمان ، ولم تكن بيعته بالإجماع كالخلفاء الثلاثة قبله ، لأنه نوزع فيها من فريقين قويين : فريق عائشة والزُّبَيْر وطلحة . وفريق معاوية وبنى أمية . وقد تغلب على فى وقعة الجمل بالبصرة على الفريق الأول ، ووقف له فريق معاوية بالشام ، ولم يمكن عليًّا أن يتغلب عليه كما تغلب على الفريق الأول . ويرجع هذا إلى هذه الأسباب :

(١) أن معاوية كان أقدر من على فى الدهاء والسياسة ، لأن عليا كان يكره أن يأخذ فى أموره بشئ من المواربة والخداع ، وقد نصحه المغيرة بن شُعْبَةَ فى أول خلافته أن يُقِرَّ معاوية وغيره من عمال عثمان على أعمالهم ، حتى تأتيه بيعتهم ، ويسكن الناس ، فإن شاء بَعْدُ عزلهم أو أبقاهم ، فأبى على إلا عزلهم . ثم نصحه ابن عباس بمثل هذا وقال له : إن معاوية وأصحابه أهل دنيا ، فمتى ثَبَّتَّهم لا يبالون من وَلِىَ هذا الأمر . فلم يسمع له أيضاً . فقال له ابن عباس : أنت رجل شجاع لست صاحب رأى فى الحرب، أيْسَر مالك عندى الطاعة . وقد نصحه

ابنه الحسن يوم أحاط الثوّار بعثمان أن يخرج من المدينة ، حتى لا يقتل وهو بها فتلصق به ريبة . فلم يفعل . ثم نصحه ألاَّ يبادرَ إلى قبول البيعة حتى تأتيه وفود العرب وأهل كل مصر ، فإنهم لن يقطعوا أمراً دونه فلم يفعل . وكان الرأى أن يأخذ بنصح ابنه الحسن .

أما معاوية فكان رجل دهاء وسياسة ، وقد طمع فيه ملك الروم حين رأى انقسام المسلمين ، فأرسل إليه يطلب منه الجزية ، فقال له معاوية : إرجع عن هذا ، وإلا انقلبت مع ابن عمى عليك .

وقد أتاه عمرو بن العاص يعرض عليه أن ينضم إليه على أن تكون له مصر إذا ظفر ، فرضى بهذا وضمه إليه ، وكسب به أقوى رجل فى العرب دهاء وسياسة ، وهو الذى نجّى معاوية من الهزيمة فى وقعة صِفّينَ ، فأشار عليه برفع المصاحف فيها ، وفرق به بين أصحاب على حتى ألجؤوه إلى قبول التحكيم .

(٣) أن معاوية كان قد جمع حوله عصبة قوية بالشام لطول ولايته عليه ، وكان لا يضن عليهم بما تحت يده من المال ، أما علىٌّ فكان يحاسب أصحابه على المال ، ولا يسامحهم فى شىء منه ، وقد أبعد عنه بهذا ابن عباس ، وكان عاملا له على البصرة ، فتركها واعتزل بمكة ، وهو ابن عمه وأخلص أصحابه له .

(٣) أن أصحاب عليّ لم يكونوا على رأى واحد، بل كان منهم المغالون في التشيع لعليّ، وهم الذين يرون أن الخلافة له بالوراثة، وأنه كان أولى بها من أبى بكر وعمر وعثمان، وكان منهم من يرى أن الخلافة يجب أن تكون شورى بين المسلمين جميعهم، ولا يصح أن تستأثر بها قريش، وهم الذين خرجوا على عثمان، فلما قتلوه انضموا إلى عليّ ليحموا أنفسهم من القتل، ولم يكونوا فى إخلاص الفريق الأول له، وقد انتهى أمرهم إلى الخروج عليه.

وقد كانت خلافة عليّ من أولها إلى آخرها حروبا داخلية، فلم يحصل فيها من الفتوح ما حصل فى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان، فمن حرب بينه وبين عائشة وطلحة والزُّبَير، إلى حرب بينه وبين معاوية، إلى حرب بينه وبين الخوارج. وقد انتهت خلافته بقتله على يد عبد الرحمان بن مُلْجَم من الخوارج.

بينه وبين الخوارج: كان أولئك الخوارج من جُفَاة الأعراب المتنطِّعين فى الدين، المغرورين بكثرة صلاتهم وعبادتهم، وقد ظهر منهم واحد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم، فأنكر عليه قسمة غنائم حُنين، وهو ذو الخُوَيْصرة التميمى. وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أعطى من هذه الغنائم قبل قسمتها بعض المؤلَّفة قلوبهم من أهل

مكة ، ترغيباً لهم في الاسلام ، فأنكر عليه ذو الخويصرة ذلك ، فقام عمر بن الخطاب يريد قتله ، فقال له : دَعْه ياعمر ، فإنه يخرج من ضِئْضِئه قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يمرق الاسلام من حناجرهم ، كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة .

وهؤلاء الخوارج هم الذين خرجوا على عثمان، وجحدوا فضله وسابقته في الاسلام . ثم خرجوا من بعده على عليّ لأنه رضي بالتحكيم بينه وبين معاوية ، وهم الذين قهروه على قبوله ، وليس هو إلا تحكيم كتاب الله تعالى بين الفريقين ، ولو أنه سار في طريقه الصالح لحقنت به دماء المسلمين .

وقد بلغ من جهل أولئك الخوارج أنهم حكموا بكفر عليّ وعثمان وطلحة والزُّبير ومعاوية ، وهم الذين قام الاسلام على أكتافهم، ولولاهم لكان أولئك الخوارج عُبّاد أوثان وأصنام كقبائلهم ، وليس من العدل جحد من لهم سابقة الجهاد في الأمة إلى هذا الحد ، ولا سيما اذا كان ممن ليس له مثل سابقتهم .

وليس ذلك التنطع من الخوارج في شيء من الاسلام ، وإنما الاسلام هو الدين السمح الذين كان عليٌّ وغيره من الصحابة يدينون به ، وكان لا يرضى له أن يحكم بكفر أولئك الخوارج كما حكموا بكفره،

بل كان يقول لهم : إن لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا : لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ، ولا نمنعكم الفَيْءَ ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تبدءونا

ولكنهم ـ قاتلهم الله ـ لم يرجعوا عن علىّ حتى سلطوا عليه واحداً منهم هو عبد الرحمان بن مُلْجَم ، فاغتاله فى صلاة الصبح ، سنة ثلاثين من الهجرة ، وقد أمر علىّ أولاده بعد أن طعنه أن يطيبوا طعامه ويُلينوا فراشه ، فإن يعش فهو ولىّ دمه ، عفو أو قصاص ، وإن يمت ألحقوه به ليخاصمه عند ربه . ثم نهاهم أن يعتدوا أو يمثِّلوا به .

فيالله ما كان أجمل إسلام أولئك الشبان السابقين ! وما كان أحسنه وأسمحه ! ويالله من ذلك التنطع الذى حرم المسلمين من ذلك الخليفة العادل ! ويعمل على تشويه الاسلام فى عصرنا الحاضر .

وقد مات علىٌّ من تلك الطعنة الأثيمة ، فقالت أمُّ الهيثم النَّخَعيَّة ترثيه :

ألاَ ياعينُ وَيْحكِ أسعدينا ألا تبكى أمير المؤمنينا
تُبكِّى أمُّ كلثوم عليه بعَبرتها وقد رأتِ اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا فلاقَرَّتْ عيون الشامتينا
أفى الشهر الحرام فجعتمونا بخير الناس طُرًّا أجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا　　فذللها ومن ركب السفينا
لقد علمت قريش حيث كانوا　　بأنك خيرهم حسباً وديناً
إذا استقبلت وجه أبي حسين　　رأيت البدر راق الناظرينا
يقيم الحق لا يرتاب فيه　　ويعدل في العدا والأقربينا

فضائله : بلغ عليٌّ من العلم مبلغاً لا يكاد يدانيه فيه أحد من أولئك الشباب ، ولا سيَّما علم القضاء ، وقد ورى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أقضاكم عليٌّ . وكذلك كان أقدر أولئك الشباب على الخطابة ، وقد جمعت خطبه في كتاب نهج البلاغة ، وهي تدل على ما وصل اليه من علم غزير ، وحكمة عالية ، وبلاغة رائعة .

ولم يقتصر أمره على علوم الدين ، بل تجاوزها إلى علوم العربية ، فوضع أساسها ، ومهَّد طريقها لمن أتى بعده ، وذلك باختراعه علم النحو ، فقد دخل عليه تلميذه أبو الأسود الدُّؤَلىُّ يوما ، فرآه مطرقا مفكِّراً ، فقال له : فيمَ تفكر ياأمير المؤمنين ؟ قال : إني سمعت ببلدكم هذا — يعني الكوفة — لحناً ، فأردت أن أصنع كتابا في أصول العربية . ثم ألقى إليه صحيفة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، الكلام اسم وفعل وحرف الخ .

فأما عدله في حكمه ، وتواضعه لرعيته ، وبِرُّه بأهله وغلمانه ، فحدِّث عنه ولا حرج ، فقد بلغ في هذا مالم يبلغه أحد ، ولقد ذهب يوما إلى

إلى أبى النوار ومعه غلامه ، فاشترى منه قميصى كرابيس، ثم قال لغلامه : اختر أيَّهما شئت . فأخذ أحدهما ، وأخذ علىٌّ الآخر .

ولا شك أن هذا يدل على أنه لم يكن فرق فى الاسلام بين سيد ورقيق ، وعلى أن ذلك الرِّقَّ كان رقا اسميًّا ، ولم يكن كالرق الذى كان قبل الاسلام ، وكان الرقيق يعامل فيه كما يعامل الحيوان ، ولا يكون له حق عند سيده كإنسان .

الزبير بن العوام

نسبه : هو الزُّبير بن العوَّام بن خُوَيْلِد بن أسَد بن عبد العُزَّى ابن قُصَيّ بن كِلاَب ، فهو من أسد قريش ، و يجتمع هو والنبي صلى الله عليه وسلم فى قصى ، وأمه صَفِيَّة بنت عبد المُطَّلِب .

سنه عند إسلامه : أسلم الزبير وهو ابن ثمان من السنين على المشهور فى سِنِّه عند إسلامه ، وكان رابع من أسلم من أولئك الشبان ، وقيل إنه كان خامسهم ، وقيل إنه أسلم وهو ابن ستّ عشرة سنة ، وكان يتيما يلى أمره عمه نوفل ، وكانت أمه صفية تقوم بتربيته ، وتعمل على أن تجعل منه رجلا من رجلات قريش ، وكانت ربما تضربه إذا أساء ، فيعاتبها عمه نوفل على ضربه ، ويقول لها : ما هكذا يضرب الولد ، إنك لتضربينه ضرب مُبْغِضة . فتقول له :

من قال أُبْغِضُه فقد كذبْ وإنما أضربه لكى يلبّ(١)
ويهزم الجيش ويأتى بالسَّلَبْ ولا يكن لما له خبأ مخبئه
يأكل فى البيت من تمر وحب

(١) يصير لبيبا .

ولا غرو فهي بنت عبد المطلب سيد قريش ، وعمة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولقد رَبَّت فأثمرت تربيتها ، وجعلت ابنها يدرك فضل الاسلام في هذا السنّ المبكر ، ثم يكون بعد هذا من أبطاله المعدودين ، ومن رجالاته المقدَّمين ، ومن ساسته المُحَنَّكين ، ومن قواده المُظَفَّرين .

تعذيبه في إسلامه : فلما أسلم الزبير غضب عليه عمه نوفل أشد غضب ، وانقلبت رحمته له إلى أشد قسوة ، لأنه كان كبيرا في السنّ ، فجمد فيمن جمد على الشرك ، وكبر عليه أن يخالفه هذا الفتى في دينه ، فلم يرحم يُتْمه ، ولم يرحم صغره ، بل أخذ يفتنّ في تعذيبه ، حتى كان يعلّقه في حصير ويدخّن عليه ليكفر بدينه ، فيقول له الزبير : لا أكفر أبدا .

وكيف ينال هذا منه وهو الفتى الذي ربته أمه تلك التربية الحازمة ، ثم تولاه النبي صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم ، فأعده لاحتمال مثل هذا العذاب ، ولاحتمال أقسى منه ، ولكن نفسه الأبية لم تصبر على هذا الضيم ، فآثر أن يهاجر إلى الحبشة فيمن هاجر إليها من أولئك الشبان ، ليعيش فيها كريما ، ولا يفتنه أحد في دينه ، وكانت الحبشة تدين بالنصرانية في ذلك الوقت ، فهاجر إليها أولئك الشبان ، لأن دينهم

يرفض عبادة الأصنام مثلها ، فأكرمت وفادتهم ، وشملهم ملكها بعطفه ، وقد أرسلت قريش إليه ليردهم إليها ، فأبى أن يسلِّم فيهم .

وقد رجع الزبير بعد ذلك من الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة حينما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إليها ، فحاز بهذا شرف الهجرتين ، وهو شرف عظيم فى الاسلام .

جهاده فى الاسلام : كان الزبير أول من سَلَّ سيفه من أولئك الشبان فى الجهاد ، لأنه بلغه وهو بمكة أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض عليه المشركون ، فسل سيفه وخرج يشق الناس به حتى وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، ولم يبال بقلتهم وكثرة المشركين ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال له : مالك يازبير ؟ قال : أخبرت أنك أُخِذْت . فصلى عليه ، ودعا له ولسيفه .

ولما هاجر إلى المدينة كان من الذين شهدوا مشاهد الحرب كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاهد فيها جهاد الأبطال ، وثبت فى المواقف التى كان ينهزم فيها الشجاع ، ولقد أبلى فى غزوة بدر أحسن بلاء ، وأصيب فيها إصابات كثيرة ، فلم يبال بها على كثرتها ، حتى كان الرجل يدخل يده فى الجراح فى ظهره وعاتقه .

أما فى غزوة أُحُدٍ فقد جعله النبى صلى الله عليه وسلم على ميمنة المسلمين ، وكان بإزائه خالد بن الوليد على ميسرة المشركين ، وهو من أكبر قُوَّاد قريش ، فاختار النبى صلى الله عليه وسلم الزبير لهذا القائد العظيم ، فلما تبارز الجيشان خرج رجل من المشركين على بعير له ، فدعا لِلْبِراز . فأحجم عنه المسلمون ، ثم دعا الثانية والثالثة ، فأحجموا عنه ، فقام الزبير إليه حتى استوى على بعيره ، ثم عانقه ولم يزل به حتى وقع على الأرض ، فوقع عليه فذبحه ، فسر النبى صلى الله عليه وسلم به سرورا عظيما ، وقال : لكل نبى حَوَارِىّ ، وحوارىَّ الزبير . ثم قال : لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه .

ثم كانت خلافة عمر ابن الخطاب فتوجه عمرو بن العاص الى فتح مصر ، وطلب من عمر مَدَداً ، فبعث إليه الزبير على رأس المدد ، وعَدَّ عليه الزبير بألف رجل ، فلما وصلوا إلى حصن بابليون تعذر عليهم ، فحاصروه حتى أعياهم أمره ، فلما رأى الزبير ذلك قال لهم : إنى وهبت نفسى لله ، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين . ثم دكَّ الخندق فى الموضع الذى اختاره للهجوم على ذلك الحصن ، وباغته من فيه تحت جنح الظلام ، ونصب سلماً على سُوره ، ثم تسلقه حتى

أوفى على من فيه شاهرا سيفه بيده ، ونادى — الله أكبر — فارتاعت قلوبهم بهذه المباغتة ، واضطروا إلى التسليم بعد مقاومة ضعيفة .

بينه و بين على : كان الزبير ابن عمة علىّ بن أبى طالب ، ولهذا كان من أنصاره حينما رأى أنه أحق بالخلافة من أبى بكر ، حتى قال : لا أغمد سيفاً حتى يبايع على . فقال عمر : خذوا سيفه واضربوا به الحجر . ولما خلع عبد الرحمان بن عوف نفسه من الستة الذين جعل عمر الخلافة فيهم بعده على أن يكون له حق اختيار أحدهم ، أتى الزبير فقال له : خلِّ بنى عبد مَنَافٍ وهذا الأمر(١) فقال الزبير : نصيبى لعلىّ . فآثره بالخلافة على عثمان .

ولكن الزبير حينما قتل عثمان وصارت الخلافة إلى على نازعه فيها ، وخرج عليه هو وطلحة وعائشة يطالبونه بدم عثمان ، والحقيقة أنه كان يريد الخلافة لنفسه ، وقد حمله على هذا ابنه عبد الله ، وكان فتى طموحا ، وقد طلب الخلافة لنفسه بعد موت يزيد بن معاوية ، وبايعه عليها أكثر المسلمين ، ولكن عبد الملك بن مروان غلبه عليها .

وقد انتصر علىٌّ فى وقعة الجمل بالبصرة على الزبير وطلحة وعائشة ، وكان الزبير قد تنحَّى أثناءها عن القتال ، وندم على اشتراكه فى هذه

(١) يعنى بهذا عثمان وعلياً .

الحرب التى فرقت كلمة المسلمين ، وقد روى أن عَمَّار بن يَاسِر التقى به فى هذه الموقعة ، فجعل عمار يحوز الزبير بالرمح ، فيكفُّ الزبير عنه ويقول له : أتقتلنى يا أبا اليقظان ؟ فيقول عمار : لا يا أبا عبد الله .

وكيف يقتل عمار الزبير وهو يعرف له فضله من يوم أن كان زميلا له فى دار الأرقم ، ويعرف ما تحمله من التعذيب فى سبيل الإسلام ، ويعرف ما قام به من الجهاد فى سبيل الإسلام ، ألا قاتل الله تلك الفتن التى أوقعت بين أولئك الشبان ، وجعلت الواحد منهم يرفع سيفه فى وجه الآخر ، وهو يُكِنُّ له ما يكن من المحبة والإخلاص ، ويخاصمه مخاصمة الأشراف ، ولله دَرُّكم أيها الأبطال الكرام ، لقد كنتم كراما فى سلمكم ، وكنتم كراما فى حربكم .

فلما ترك الزبير القتال مَرَّ بعسكر الأحنف بن قيس وهو معتزل الحرب ، فقال الأحنف : والله ماهذا انحياز ، يجمع بين المسلمين ، حتى إذا ضرب بعضهم بعضاً لحق بيته ! ثم قال : من يأتينى بخبره ؟ فقال عمرو بن جرموز : أنا . فسار حتى لحقه ، فقال له الزبير : ما وراءك ؟ فقال : إنما أريد أن أسألك . ثم حضرت الصلاة ، فقال عمرو : الصلاة . فقال الزبير : الصلاة . فلما نزلا إلى الصلاة استدبر عمرو الزبير فطعنه فقتله ، ثم جاء بسيفه إلى علىّ ، فلما رآه علىّ قال له : إن هـذا سيف

طالما فَرَّج الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : بَشِّرْ قاتل ابن صَفِيَّة بالنار .

وهكذا قتل عمرو بن جرموز ذلك البطل المجاهد ، وجحد فضله وسابقته فى الاسلام ، وأنكر جهاده الذى لم يكن له شئ منه ، وإنما كان من أولئك المتنطِّعين فى الدين ، الذين يحسبون الدين تقشفاً فى الدنيا ، ومبالغة فى النسك والعبادة ، فإذا ما ظهروا بهذا جحدوا فضل أولئك الشبان الذين مَهَّدوا لهم سبيل الدين ، ولولا جهادهم لكانوا من عُبَّاد الأوثان والأصنام .

وإنما لم يقتصَّ علىٌّ من عمرو بن جرموز لأنه كان فى فتنة تطاير شررها ، وكان الاقتصاص منه يزيد فى اشتعالها ، وهذه كانت حجته فى ترك الاقتصاص من قتلة عثمان ، وقد اختفى عمرو بن جرموز من مُصْعَب بن الزبير حينما ولى العراق لأخيه عبد الله ، فلما علم مصعب أنه اختفى منه قال : لِيَخْرُجْ فهو آمن ، أيظن أنى أقيده بأبى عبد الله ؟ ليسا سواء .

وإذا كان لنا فى هذه الحرب عِبْرة فلتكن فى شرف هذه الخصومة بين أولئك الشبان ، فقد كان علىّ يمر على القتلى بعد انتهائها ، فكان كلما رأى رجلا من خصومه فيه خير تأسف وقال : زعم من زعم

أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء ، وهـذا العابد المجتهد فيهم ! فيشهد لهم بحسن دينهم ، ولا تحمله الخصومة على الطعن عليهم فى عقيدتهم ، وما أحوجنا فى عصرنا إلى هذه الأسوة الحسنة ، وإلى هذه الخصومة الشريفة .

فضائله : كان الزبير من أحسن أولئك الشبان كفاية ، وقد عرف بين الصحابة بحسن قوامه على المـال ، فكان موضع ثقتهم ، ومرجعهم فى أمور أموالهم ، حتى إن كثيراً منهم أوصو إليه بعد وفاتهم ، كعثمان بن عفان ، وعبد الرحمان بن عوف ، والمِقْداد بن الأسود ، وعبد الله بن مسعود ، فكان يدبر مصالح ورثتهم ، ويحفظ لهم أموالهم .

وقد جمع الزبير ثروة واسعة فى الاسلام ، حتى كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخَرَاج ، وفى هـذا حجة على من يزهدون المسلمين فى جمع المـال ، ويحسنون لهم عيشة المسكنة والفقر ، وكان مع هذا كثير الصدقة ، كثير البرِّ بأصحاب الحاجات ، وقد مدحه حَسَّان بن ثابت ففضله على سائر الأصحاب :

أقام على عهـد النبيِّ وهديِهِ حواريُّهُ والقولُ بالفعل يُعْدَلُ
أقام على منهـاجه وطريقـه يوالى ولىَّ الحقِّ والحقُّ أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذى يصول إذا ما كان يومٌ محجَّل (١)

(١) هو يوم الحرب ، وهو فاعل كان التامة .

وإنَّ امرءًا كانت صفيةُ أمُّهُ ومَنْ أسدٌ في بيته لمرفَّل (١)
له من رسول الله قُرْبَى قريبةٌ ومن نصرة الاسلام مجدٌ مؤثَّل (٢)
فكم كربةٍ ذَبَّ الزبير بسيفه عن المصطفى والله يعطى ويجزل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حَشَّهَا بأبيض سبَّاقٍ إلى الموت يُرقل (٣)
فما مثله فيهم ولا كان قبله وليس يكون الدهر مادام يَذْبُل (٤)
ثناؤك خير من فَعال معاشرٍ وفعلك ياابن الهاشمية أفضل

---

(١) أى لمسود معظم ، استعارة من ترفيل الثوب ، وهو إسباغه وإرساله
(٢) المجد المؤثل القديم .
(٣) حشها أسعرها وهيجها تشبيها بإسعار النار ، والمحش ماتحرك به النار من حديد ، والأبيض السباق السيف ، ويرقل بمعنى يسرع .
(٤) يذبل : جبل

طلحة بن عبيد الله

نسبه : هو طلحة بن عُبَيد الله بن عثمان التَّيْمىُّ ، من تَيْم بن مُرَّة بن كعب ، فهو يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فى مرة .

سنه عند إسلامه : أسلم طلحة وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وقد أسلم فى أول من أسلم من أولئك الشبان ، فلا يكاد يتجاوز العاشر من السابقين إلى الاسلام .

تعذيبه فى إسلامه : وقد كان لطلحة أخ أكبر منه جمد على الشرك ، وكبر عليه أن يتركه أخوه الصغير إلى هذا الدين الجديد ، وكان أبو بكر هو الذى دعاه إلى الاسلام ، وهو من تَيْم أيضاً ، فأخذهما أخوه فشدَّهما بحبل ، وأحكم وثاقهما ، ومنعهما أن يحضرا الصلاة وغيرها من شعائر الاسلام ، ولهذا كانا يسميان القَرِينَين ، ولكن هذا لم يؤثر فيهما ، ولم يرجعهما عن دينهما ، فتركهما وشأنهما حين أيس منهما .

جهاده فى الاسلام : شهد طلحة كل غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يتخلف عنه فى غزوة منها ، ولم يتخل عنه فى أحرج مواقفها ، ولقد انهزم أكثر المسلمين فى غزوة أُحُدٍ ، وثبت النبي صلى الله عليه

وسلم ، فوقف طلحة بجانبه يقيه بنفسه ، و يَتَّقى عنه النبل بيده ، حتى شُلَّتْ إصبعه ، وقد وقع النبى صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر ، فحمله طلحة على ظهره ، حتى صعد به صخرة عالية ، وقد أصاب طلحة فى هذه الغزوة أكثر من سبعين جراحة ، ما بين طعنة وضربة ورمية ، فنَزَفَ به الدم حتى غُشِيَ عليه ، فرشَّ أبو بكر وجهه بالماء حتى أفاق ، فلم يكن همُّه إلا النبى صلى الله عليه وسلم ، فسأل عنه أبا بكر ، فقال : هو بخير ، وهو أرسلنى إليك . فقال : الحمد لله ، كل مصيبة بعده جَلَلٌ (١) .

وكان لطلحة مواقف عظيمة فى الجهاد بالمال ، وقد بلغ ما أنفقه فيه سبعمائة ألف درهم ، ولما كانت غزوة تَبُوك والناس فى عسرة ، أنفق فيها مالم ينفقه غيره ، حتى سماه النبى صلى الله عليه وسلم طلحة الفيَّاض .

بينه و بين علىّ : كان لطلحة طمع قديم فى الخلافة ، حتى إنه كان فيمن تأخر عن مبايعة أبى بكر ، وقد جعل عمر أمر الخلافة بعده شورى فى ستة من الصحابة ، وأدخل طلحة فيهم ، ولكنه لم يكن

---

(١) يسيرة .

حاضراً في المدينة ، ولم يحضر إلا بعد أن تمت البيعة لعثمان ، فلم يبايعه إلا بعد أن علم أن كل الناس قد بايعوه .

فلما تولى عليّ الخلافة بعد عثمان خرج عليه هو والزبير وعائشة ، وكان يطالبه معهما بدم عثمان ، مع أنه كان من الناقمين عليه في خلافته ، ولم يكن اتفاقه هو والزبير على قتال عليّ عن اتفاق على الغاية من قتاله ، لأن كلا منهما كان يطلب الخلافة لنفسه ، وقد قال معاذ بن عُبَيد — وكان ممن خرج معهما — : والله لو ظفرنا لا قتتلنا ، ما كان الزبير يترك طلحة والأمر ، ولا كان طلحة يترك الزبير والأمر . ولعل هذا كان من أسباب انكسارهما في وقعة الجمل .

وما كان أحرى علياً والزبير وطلحة أن يتفقوا في هذا على أحدهم ، وهم الذين قضوا شبابهم جنباً لجنب ، واشتركوا في شرف السبق إلى الاسلام ، وتعاونوا في الجهاد لإعلاء كلمته ، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم ، واشتبكوا في تلك الحرب ، وتركوا معاوية في الشام ينظر إلى قتالهم ، وينتظر حتى يقضي كل منهم على الآخر أو يضعفه ، ليتهيأ له الظفر بما اختلفوا عليه ، ويظفر به دونهم ؛ ولقد كان أحقَّ من طلحة والزبير بالمبادرة بطلب دم عثمان ، لأنه من بني أمية مثله ، ولكنه وهو رجل

الدهاء والسياسة يريد أن يظفر بهم جميعاً ، ولا يتم هذا له إلا إذا تركهم يقتتلون ، ووقف هو ينتظر ما يؤول إليه أمرهم .

ولقد كان نفر من بنى أمية يقاتل مع طلحة والزبير ، وكان منهم مروان بن الحَكَم ، فلما أخذت كفّة علىّ فى الرجحان رأى مروان أن أمله انقطع منه ، فاتجهت نفسه فيما يقال إلى طلحة ، لأنه كان من الناقين على خلافة عثمان ، فرماه فى اضطراب المعركة بسهم فى ركبته ، والتفت إلى أبانَ بن عثمان فقال له : قد كفيتك بعض قتلة أبيك . وقيل إن السهم أصاب ثغرة نحره فمات .

وهكذا جنى طلحة جزاء ركونه فى القتال إلى مثل مروان بن الحَكَم ، وحربه لعلىّ قرين الشباب ، وزميل السبق والجهاد ، ومن كان يُكنُّ له صادق المحبة والوداد ، ومن كانت تأبى له نفسه أن يمد يده إليه بمثل ما مد يده مروان بن الحكم ، وقد مرَّ على القتلى فرآه بينهم ، فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : عزيز علىَّ أبا محمد أن أراك مُجَدَّلا تحت نجوم السماء . ثم قال : إلى الله أشكو عُجَرى وبُجَرى . ثم ترحم عليه وقال : ليتنى متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة . ثم بكى هو وأصحابه عليه . وسمع رجلا ينشد :

فَتًى كان يُدنيهِ الغنى من صديقه   إذا ماهو استغنى ويبعده الفقرُ

فقال : ذاك أبو محمد طلحة بن عبيد الله .

فأين هذا من أولئك الذين أتوا بعد طلحة ، فلم يعرفوا من فضله ما عرفه علىّ ، ولم يرض لهم ضيق إسلامهم إلا أن يسلبوه إيمانه وسابقته وجهاده ، ويذهبوا فى هـذا مذهباً لم يذهبه علىّ نفسه ، ولا غرو فإنما يعرف الفضل من النـاس ذووه ، فلا يعرف فضل طلحة إلا علىّ ، ولا يعرف أن طلحة إنما كان يحارب على السياسة لا على الدين إلا علىّ ، والحرب السياسية يجب أن تقف عند حدها ، ولا يصح أن ينتقل فيها من السياسة إلى الطعن فى الدين . لأن الدين إيمان بالله ورسوله ، والسياسة ولاية و إمارة وحكم .

الأرقم بن أبي الأرقم

نسبه : هو الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد المخزوميّ ، من مخزوم ابن يَقَظَة بن مُرَّة بن كعب ، فهو يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فى مرة ، وكان اسم أبيه عبد مَنَاف ، وأبو الأرقم كنيته .

سنه عند إسلامه : أسلم الأرقم وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، وكان سابع من أسلم من أولئك الشبان ، وقيل إنه أسلم بعد عشرة منهم .

جهاده فى الاسلام : كان الأرقم بن أبي الأرقم صاحب الفضل الأول على الاسلام ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكد يظهر بدعوته حتى علم أن قومه سيناضلونه أقوى نضال ، ويحاربونه أشد محاربة ، فرأى أن يدعو إلى الاسلام فى السر ، حتى لا يعرف قومه من يؤمن به فيفتنوه فى دينه ، ويأخذوه بالأذى والعذاب ، وقد يؤثر هذا فيه قبل أن يتمكن الإيمان من قلبه ، وترسخ فيه عقيدته ، فيرتد عن الإيمان ، ويرجع الى الشرك ، خوفا من العذاب ، وحذرا من الأذى .

وقد كانت دار النبي صلى الله عليه وسلم لا تصلح لهذا الطور من الدعوة السرية ، لأنهم كانوا يراقبونها ، ويراقبون من يتردد عليه فيها ، فرأى أن يتخذ دارا لا يعرفها قومه ، فيدعو فيها سراً إلى الاسلام ،

ويجتمع بها هو ومن يؤمن به من قومه ، ليعلمهم دينهم ، ويعمل على تمكين عقيدته من نفوسهم ، حتى إذا ظهروا بها لم يمكن قومه أن يفتنوهم عنها ، لأنها تكون قد اختلطت بلحمهم ودمهم ، ورسخت فى أعماق قلوبهم ، فيفدونها بأنفسهم وأموالهم .

فتطوّع الأرقم بن أبى الأرقم للنبى صلى الله عليه وسلم بداره ، ليقوم فيها بهذا الطور من الدعوة السرية ، وهو يعلم أنه لو انكشف أمرها لقومه لنقضوها حجراً حجراً ، وجعلوا عاليها سافلها ، فكانت هذه الدار أول مسجد فى الاسلام للعبادة ، وأول مدرسة فى الاسلام للتعليم ، وأول نَدْوَة فى الاسلام للشورى وتدبير الشئون ، وكفاها بذا فضلا ، وكفى الأرقم بها تضحية وجهادا ، وقد حبسها على ورثته إلى أن باعوها لأبى جعفر المنصور .

وقد هاجر الأرقم إلى المدينة حينما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إليها ، وشهد معه بدراً وغيرها من غزواته ، فلم يتخلف عنه فى غزوة منها ، وقد أدرك الفتن التى قامت بعد قتل عثمان ، فكان ممن آثر اعتزالها ، ولم يرض لنفسه بعد ذلك الجهاد أن يشترك فى حرب تكون فيما بين المسلمين .

وقد مات فى عهد معاوية سنة خمس وخمسين من الهجرة ، وكان قد أوصى أن يصلى عليه سعد بن أبى وقاص ، لأنه كان ممن اعتزل تلك الفتن مثله ، فصلى عليه سعد كما أوصى .

عبد الله بن مسعود

نسبه : هو عبد الله بن مسعود بن غافل الْهُذَلِيُّ ، ينتهى نسبه إلى مُدْرِكَةَ بن إلْيَاس ، فيجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فى مدركة ، وكان حليف بنى زُهْرة من قريش .

سنه عند إسلامه : أسلم عبد الله بن مسعود وهو غلام يَافِعٌ قد قارب البلوغ ، وكان سادس من أسلم من أولئك الشبان .

تعذيبه فى إسلامه : كان عبد الله بن مسعود غلاما فقيراً يرعى غنما لعقبة بن أبى مُعَيْط ، ولم يكن من صميم قريش ، وإنما كان حليف بنى زُهْرة منهم ، فلم يكن له عشيرة تحميه من أذاهم ، ولكنه كان جريئاً لا يعبأ بما يلاقيه من الأذى ، حتى كان أول من جهر بالقرآن فى مكة ، وذلك أن أولئك الشبان اجتمعوا يوما فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجْهَر لها به قَطُّ ، فمن رجل يسمعهم ؟ فقال عبد الله : أنا . فقالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلا له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه . فقال عبد الله : دعونى ، إن الله سيمنعنى .

ثم غدا عبد الله حتى أتى المقام فى الضحى وقريش فى أنديتها ، فقرأ رافعاً صوته (بِسْمِ اللهِ الرحمن الرحيم ، الرحمنُ ، عَلَّمَ القرآنَ)

ومضى فى السورة ، فدهشت قريش ، وجعلوا يقولون : ما يقول ابن أم عَبْدٍ ؟ ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ماجاء به محمد. فقاموا فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ من السورة ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثَّروا فى وجهه ، فقالوا له : هذا الذى خشيناه عليك . فقال لهم : ما كان أعداء الله قطُّ أهون علىّ منهم الآن ، ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غداً . فقالوا : حسبك ، قد أسمعتهم ما يكرهون .

وكان عبد الله فيمن هاجر من أولئك الشبان إلى الحبشة ، فمكثوا بها شهوراً ، ثم بلغهم أن قومهم أسلموا ، فرجعوا إلى مكة فوجدوا أهلها على حالهم ، وقد اشتد غضبهم عليهم ، فلم يمكن أىَّ واحد منهم أن يدخل مكة إلا بجوار أو مستخفياً ، ولم يجد عبد الله من يجيره من أهل مكة ، لما كان من جراءته عليهم ، ولكنهم لم يلبثوا بمكة إلا قليلا ، لأن قريشاً اشتدت فى تعذيبها لهم ، فرجعوا إلى الحبشة ثانياً .

وقد هاجر عبد الله بعد هذا إلى المدينة حينما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إليها ، فنال بهذا شرف الهجرتين معا .

جهاده فى الاسلام : وقد شهد عبد الله بعد الهجرة جميع غزوات النبى صل الله عليه وسلم ، وهو الذى أجهز على أبى جهل فى غزوة بدر ، وكان أبو جهل أشد قريش عداوة للإسلام ، فلما انتهت غزوة بدر

أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يلتمس أبو جهل فى القتلى ، فذهب عبد الله يلتمسه حتى وجده بآخر رَمَق ، فوضع رجله على عنقه واحتز رأسه ، ثم جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يارسول الله، هذا رأس عدوّ الله أبى جهل . فقال له : ألله الذى لا إله غيره — وكانت يمينه — فقال : نعم ، والله الذى لا إله غيره . ثم ألقى به بين يديه فحمد الله تعالى .

وقد شهد فتوح الشام بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم سيره عمر فى خلافته إلى الكوفة ليعلم أهلها أحكام الدين وعلومه ، وقد ولاه عثمان عليها فى خلافته ، ثم أمره بالرجوع إلى المدينة .

ولما جمع عثمان القرآن وكتبه فى مصاحف أمر أن يحرق ما عداها من المصاحف، لأنه أراد أن يجمع المسلمين على مصحف واحد مكتوب على لغة قريش التى نزل بها ، فأبى عبد الله أن يحرق مصحفه ، وتعصب له أهل الكوفة ، فأرسل إليه عثمان يأمره أن يقدم عليه بالمدينة . فاجتمع أهل الكوفة عليه ، وقالوا له : أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شىء تكرهه . فقال لهم : إن له علىّ حقَّ الطاعة ، وإنها ستكون أمور وفتن ، فلا أحب أن أكون أول من فتحها . ثم رد الناس وخرج إلى المدينة.

وهذا هو الأدب العظيم الذى كان يجب على المسلمين أن يسلكوه ، ولو أنهم سلكوا فيه ماسلكه عبد الله لبقيت كلمتهم متحدة ، ولكان للإسلام شأن غير ذلك الشأن الذى وصل إليه بتأثير تلك الفتن المشئومة.

وقد مات عبد الله سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة ، وقد أوصى أن يدفن ليلا ، فدفن كما أوصى ، وصلى عليه الزُّبير بن العوام ، ولم يعلموا عثمان بموته لما كان بينهما ، فعاتب عثمان الزبير لأنه لم يعلمه بموته ، وقد كان أولئك الشبان يعرف بعضهم فضل بعض ، فلا يجحد أحد منهم فضل صاحبه ، وإن حصل بينهم ما حصل .

فضائله : كان عبد الله يلازم النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلم ، ليأخذ عنه أحكام الدين ، ويتعلم منه ما علمه الله تعالى ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه منه هذا الحرص على العلم ، حتى قال له : إنكَ لغلام معلم . وكفى بهذه شهادة له .

وقد أرسله عمر فى خلافته إلى الكوفة ليعلم أهلها ، فكان له بها مدرسة عرفت فيما بعد بمدرسة أهل الرأى ، وانتهى علمها إلى أبى حنيفة النعمان ، وهو إمام أهل الرأى من فقهاء الاسلام ، وقد أخذ عن حَمَّاد بن أبى سليمان ، وأخذ حماد عن إبراهيم بن يزيد النَّخْعِيّ ، وأخذ إبراهيم عن عَلْقَمَة بن قيس ، وكان علقمة أنبل أصحاب عبد الله.

سعيد بن زيد

نسبه : هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل العَدَوِىُّ ، من عَدِىِّ ابن كعب بن لُؤَىٍّ ، فيجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فى كعب ، وكان أبوه زيد من الحنفاء الذين رفضوا عبادة الأصنام ، ودانوا بالتوحيد الذى أتى به إبراهيم عليه السلام ، وكان موته قبل البعثة بخمس سنين

سنه عند إسلامه : أسلم سعيد وهو دون العشرين سنة ، وكان إسلامه قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبى الأرقم .

تعذيبه فى إسلامه : كان سعيد زوج فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب ، فلما أسلم أسلمت معه . فغضب أخوها عمر ، وكان لم يسلم فى ذلك الوقت ، فذهب إليها وقال لها : ياعَدُوَّة نفسها ، بلغنى أنك صَبَأْتِ . ثم ضربها ووثب على سعيد فضرب به الأرض ، وجلس على صدره ، فجاءت فاطمة تمنعه منه ، فلطمها لطمة شَجَّ بها وجهها فسال دمها ، فلما رأت الدم بكت وقالت له : أتضربنى ياعدو الله على أن أُوَحِّدَ الله ؟ لقد أسلمنا على رغم أنفك يا ابن الخطاب ، فما كنت فاعلا فافعل .

فخرج عمر يفكر فى هذا الدين الذى أخذ بأُخته وزوجها إلى ذلك الحد ، ولم يزل به هذا التفكير حتى اهتدى إلى الاسلام فيما بعد .

جهاده فى الإسلام : كان سعيد من العشرة الذين كانت لهم الزعامة بين أولئك الشبان ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يركن إلى رأيهم ، وكانوا دائما أمامه فى القتال ، وخلفه فى الصلاة ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ والزُّبير وطلحة وسعد وسعيد وأبو عُبَيْدة وعبد الرحمان بن عَوْف .

وقد شهد سعيد غزوات النبى صلى الله عليه وسلم إلا بدرا ، لأنه كان غائباً بالشام ، فلما قدم من الشام بعد قدومهم من بدر ضرب النبي صلى الله عليه وسلم له بسهمه من غنائمها .

وقد شهد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقعة اليَرْمُوك ، وحصار دمشق ، ومات سنة اثنتين وخمسين من الهجرة ، وعاش بضعا وسبعين سنة ، وذكر الهيثم بن عَدِيٍّ أنه مات بالكوفة ، وصلى عليه المغيرة بن شُعْبه ، وعاش ثلاثا وسبعين سنة .

وكان رحمه الله طوالا آدَمَ أشعر طيب النفس راضيا قانعا ، لم يطمع فى ولاية ولا إمارة ، ولم يشترك فى فتنة من تلك الفتن المشئومة ، وكان يذهب فى هذا مذهب آل الخطاب لقرابته منهم ، وكانوا أبعد الناس عن طلب الحكم ، وأكرهم للاشتغال بتلك الفتن .

سعد بن أبى وقاص وأخوه عامر

نسبهما : هما سعد وعامر بنا أبى وقّاص الزُّهْريّان ، وزهرة من كلاب بن مُرَّة ، فيجتمعان بالنبى صلى الله عليه وسلم فى كلاب ، وأبو وقاص كنية أبيهما ، واسمه مالك .

سنهما عند إسلامهما : أسلم سعد وهو ابن سبع عشرة سنة ، وهو خامس من أسلم من أولئك الشبان ، وقيل إنه كان ثالثهم ، وقيل إنه كان سابعهم ، وأما أخوه عامر فأسلم بعد قليل من إسلامه ، وقيل إنه أسلم بعد عشرة من أولئك الشبان .

وقد روى عن سعد فى سبب إسلامه أنه قال : رأيت فى المنام كأنى فى الظلمة لا أبصر شيئاً ، إذ أضاء لى قمر فاتبعته ، فكأنى أنظر إلى من سبقنى إلى ذلك القمر ، فأنظر إلى زيد بن حارثة ، وإلى علىّ بن أبى طالب ، وإلى أبى بكر ، وكأنى أسألهم : متى انتهيتم إلى ههنا ؟ قالوا : الساعة . قال : وبلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام مستخفيا ، فلقيته فى شِعْب أَجْياد وقد صلى العصر فأسلمت ، فما تقدمنى أحد إلا هم .

تعذيبهما فى إسلامهما : لما أسلم سعد غضبت أمه وحزنت لإسلامه ، وكانت من بنى أمية زعماء المناهضين للإسلام ، والجامدين على دينهم القديم ، فقالت له : ياسعد ، ألست تزعم أن دينك الجديد يأمر بصلة الرَّحم ، وبرِّ الوالدين ؟ قال : نعم . فقالت : والله لا أكلت طعاما ولا شربت شرابا حتى تكفر بمحمد ، وتمسَّ إسافاً ونائلة (١) فلم يجبها إلى ما طلبت ، لأن الإسلام يأمر بإطاعة الوالدين فيما عدا الكفر ، فمكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب ، فأصبحت وقد جهدت ، ثم مكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب ، حتى ساء حالها ، فلما رأى سعد ما وصلت إليه من سوء الحال قال لها : تعلمين والله يا أمَّهْ ، لو كان لك مسائة نَفْس تخرج نفسا نفسا ، ما تركت دين هذا النبى صلى الله عليه وسلم ، فكلى إن شئت أو لا تأكلى . فلما رأت إصراره أكلت وشربت ، وحقدت عليه حقداً شديداً ، حتى بلغ من حقدها أنها أرادت أن تقتله ، فبينا هو ذاهب ذات ليلة إلى البيت بعد أن صلى العشاء ، وجدها تصيح : ألاَ أعوانٌ يعينونى عليه من عشيرتى أو عشيرته ، فأحبسه فى بيت وأطبق عليه بابه حتى يموت أو يَدَعَ هذا الدين المُحْدَث . فلما رأى سعد ذلك رجع من حيث أتى ،

---

(١) صنمان بمكة

وقال لها : والله لا أعود إليك ، ولا أقرب منزلك . ثم هجرها زمنا يتضيَّف إخوانه من أولئك الشبان ، فكان وقع هذا فى نفسها أشد من وقع إسلامه فيها ، فأرسلت إليه أنْ عُدْ إلى منزلك ، ولا تتضيف فيلزمنا عار . فرجع سعد إلى منزلها ، ولكنها بقيت على غضبها عليه .

وكانت تعيِّره بأخيه عامر قبل إسلامه ، وتقول له : هو البَرُّ لا يفارق دينه ، ولا يكون تابعاً . تقصد أنه صار بالإسلام تابعاً للنبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك هو الكبرياء العربى الجاهلى الذى فرق كلمتهم ، وجعل أمرهم فَوْضَى فى الجاهلية ، فلا دين يجمعهم ، ولا دولة توحِّد بينهم ، حتى صارت بلادهم نهبا لدولتى الفُرْس والروم ، ولا عار على شخص فى أن يكون تابعا للحق ، ولا فى أن يذعن لحكم عادل ، يرعى مصلحته ، ويذود عنه .

فلما أسلم عامر زادت مصيبتها ، وعادت إلى ما فعلته حين أسلم سعد ، فامتنعت عن الأكل والشرب ، حتى يرجع عن إسلامه ويكفر بدينه ، ولكنه ثبت على إسلامه كما ثبت سعد ، ولم يهمه منها ذلك العناد والجمود ، وقد هاجر عامر بعد هذا إلى الحبشة ، ورجع منها إلى المدينة فى السنة السابعة من الهجرة ، ومات بالشام فى خلافة عمر .

جهاد سعد فى الإسلام : كان سعد أول من ابتدأ القتال فى الإسلام ، ابتدأه بمكة وهم فى عدد قليل لا يكاد يتجاوز أصابع اليد ، وذلك أنهم كانوا يستخفون بصلاتهم خوفا من قومهم ، فبينما كانوا يصلون فى شِعْب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم المشركون فنافروهم ، وعابوا عليهم دينهم حتى قاتلوهم ، فضرب سعد رجلا من المشركين بِلَحْيِ جمل فشَجَّه ، فكان هذا أول دم أريق فى الإسلام .

وكذلك كان سعد أول من ابتدأ القتال بعد الهجرة إلى المدينة ، فقد خرج فى أول سَرِيَّة أرسلها النبى صلى الله عليه وسلم لقتال المشركين ، فتراموا بالنبل ، فكان سعد أول من رمى سهما فى تلك السرية .

وقد شهد سعد جميع غزوات النبى صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ، وكان له فى غزوة أُحُدٍ موقف محمود ، يشهد بشجاعته وبطولته ، فقد ثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد انهزم أكثر المسلمين ، وكانت السهام تصيبه من كل ناحية ، حتى أصابه حجر فكسر رُبَاعِيَتَه اليمنى ، وشَقَّ شَفَتَه السفلى ، فوقف سعد بجانبه يدافع عنه ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يناوله النبل ويقول له : إرْمِ فداك أبى وأمى ، إرم أيها الغلام الحَزَوَّر [1] فجعل سعد يرمى السهام ، حتى رمى فى ذلك اليوم

(١) القوى

ألف سهم ، ما منها سهم إلا يقول له النبي صلى الله عليه وسلم : إرم فداك أبي وأمي .

وقد جاء في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم أجلسه أمامه ، فجعل يرمي ويقول : أللهُمَّ سهمك فارْمِ به عدوك . فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أللهم استجب لسعد ، أللهم سدِّدْ رميته ، وأجب دعوته . وقد استجاب الله دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، فكان مجاب الدعوة طول حياته .

فتحه العراق وبلاد الفرس : ولما تولى عمر الخلافة كان الفُرْسُ قد ولَّوْا عليهم يزدجرد ، وتسابقوا في طاعته ومساعدته على المسلمين ، فأرسل جيوشه إلى العراق فاستردوا ما فتحه المسلمون في خلافة أبي بكر ، فأرسل المُثَنَّى بن حارثة إلى عمر يخبره بذلك ، فاهتم بخبره حتى خرج بنفسه يريد الغزو ، واستخلف عليًّا على المدينة ، فخرج إليه عبد الرحمان ابن عوف حتى لحقه ، وناشده الله أن يرجع ويبعث غيره ، فإن يكن له النصر فيها ، وإلا فلا تكون هزيمته أو قتله في النفوس كقتل أو هزيمة أمير المؤمنين ، فاستحسن عمر رأيه وقال : فأشيروا عليَّ برجل . فقال عبد الرحمان : وجدته . قال عمر : من هو ؟ فقال عبد الرحمان : هو الأسد في بَرَاثِنِه ، سعد بن أبي وقَّاص . فاختاره عمر لقيادة ذلك

الجيش الذى أعده لفتح بلاد الفرس ، وقتال أكبر دولة فى ذلك العهد.

وقد اهتم الفرس بذلك الجيش الذى خرج لفتح بلادهم، فأعدّوا له جيشاً أكثر منه عدَداً ، وأقوى منه عُدَداً ، واختار واله رُسْتُم أكبر قوادهم ، فالتقى الجيشان بالقادسيّة ، وكان جيش الفرس يزهو بكثرته ، ويفخر بقوة سلاحه ، ويضحك من نبل العرب ويشبهها بالمغازل ، ولكن براعة سعد غلبت رستم وجيشه ، وقوة إيمان جيش المسلمين غلبت قوة عُدَدِ الفرس وكثرة عددهم ، وكانت تلك المعركة من المعارك الفاصلة فى التاريخ ، فكسبها سعد للمسلمين ، وأسقط بها دولة كِسْرى ، فلم يقم لجيوشه بعدها قائمة .

بناؤه مدينة الكوفة : وقد دخل سعد المدائن عاصمة كسرى بعد هذه المعركة ، فأقام بها سنة وشهرين ، فلم يعجبه مكانها ، ولم يستطب هواءها ، فأقام بدلها مدينة الكوفة، وجعلها عاصمة العراق و بلاد فارس ، و بنى فيها قصر الإمارة المشهور، وجلب إليه الآجُرَّ من قصور الأكاسرة والمناذرة بالْحِيرة ، وكانت تقع بجوارها ، فدل بهذا على أن أولئك الشبان كانوا رجال عمارة و إصلاح ، كما كانوا رجال حرب وفتح ، ودل على أن الاسلام دين مدنيـة وحضارة ، ينشئ المدن ، ويشيد القصور، و يبيح للمسلمين من هذا ما أباح لهم من القناعة والزهد .

وقد ولاه عمر الكوفة فأقام بها إلى أن عزله عنها لخلاف بينه وبين بعض أهلها ، فلما ولى عثمان الخلافة أعاده والياً عليها ، ثم عزله وولى بدله الوليد ابن عقبة .

بينه وبين المتنطعين في الدين : كان سعد وإخوانه من أولئك الشبان الذين نشأوا بمكة عاصمة الحجاز ، يدينون بالإسلام على طبيعة أهل الحضر ، فلا يحبون الأخذ فيه بالتشدد والتقشف ، ولا يحرمون فيه على أنفسهم ما أباحهم الله لهم من أمور الدنيا ، ويذهبون في هذا مذهباً وسطاً يخالف مذهب من أسلم بعدهم من جُفَاة الأعراب ، ولم يعرفه من سماحة الاسلام ويُسْرِه ما عرفه أولئك الشبان .

فكان سعد فى ولايته لعمر على الكوفة يخرج إلى الصيد ، ويُخَفِّفه الصلاة ، فلم يعجب هذا بعض أعراب الكوفة ، فشنعوا به عليه ، وسعوا فى عزله عند عمر ، فأرسل جماعة يسألون أهل الكوفة عن سعد ، فكانوا كلما سألوا رجلا قال خيرا ، وأثنى عليه معروفا ، ولم يقدح فيه إلا رجل يقال له أبو سعدة ، فإنه قال لهم : إنه لا يقسم بالسَّوِيَّة ، ولا يعدل فى القضية . فقال سعد : ألهم إن كان كاذبا فأطِلْ عمره ، وأدِمْ فقره ، وأعْمِ بصره ، وعَرِّضْه للفتن . فأجاب الله فيه دعوته ، فعمى وافتقر وكبر سنه ، فكان يتعرَّض للإماء فى سِكَكِ الكوفة ، فإذا قيل له : كيف أنت يا أباسعدة ؟ قال : شيخ كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد .

وكان سعد يتعجب من تنطع أولئك الأعراب ، ويقول فيهم : لقد كنت أول رجل أراق دما من المشركين ، ولقد رأيتنى خُمُسَ الإسلام[١] وهذه بنو أسد تزعم أنى لا أحسن أصلى ، وأن الصيد يلهينى.

وقد طلبه عمر بعد هذا من الكوفة ، ثم قال له : ياسعد ويحك ! كيف تصلى ؟ فقال : أطيل الْأُولَيَيْنِ ، وأحذف الْأُخْرَيَيْنِ[٢] فقال له عمر : هكذا الظن بك .

فلم يعزل عمر سعدا لأنه استحق العزل ، وإنما ضَنَّ به على أولئك المتنطعين فى الدين ، ولهذا قال فى وصيته عند موته : إن أصابت الإِمْرَةُ سعدا فذاك ، وإلا فليستعن به الذى يلى الأمر ، فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة .

بينه وبين على ومعاوية : وكان سعد ممن آثر اعتزال الفتن التى قامت بعد قتل عثمان ، وقد جاهد بنفسه فى دفع الثائرين عليه ، ولم يؤثر فى نفسه أنه عزله من الكوفة بالوليد بن عقْبة ، فحضر بنفسه إلى داره يدافع عنه ، وقد اكتفى غيره من كبار الصحابة بإرسال أبنائهم ، ولو أنهم فعلوا فعل سعد لكفَّ أولئك الثائرون عن ثورتهم ، لأنه كان

(١) يعنى أنه كان خامس من أسلم من أولئك الشبان .
(٢) حذف الأخريين تخفيفهما .

هنالك رسل سوء أفهموهم أن ثورتهم مرضىٌّ عنها من علىّ والزُّبير وطلحة .

فلما قتل عثمان لزم سعد داره ، واعتزل تلك الفتن التى فرقت كلمة المسلمين ، ولم يشأ أن يلطخ سيفه بدم مسلم ، وقد جاء ابن أخيه هاشم ابن عُتْبَة فقال له : ههنا مائة ألف سيف يرونك أحق بهذا الأمر . فقال له : أريد منها سيفا واحدا إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئاً ، وإذا ضربت به الكافر قطع .

وقد عرضوا الخلافة عليه بعد قتل عثمان فقال : إنى وابن عمر لاحاجة لنا فيها . ثم جاءوا به ليبايع عليًّا فقال له : بايِعْ . فقال : لا ، حتى يبايع الناس ، والله ما عليك منى بأس . فقال علىّ : خلوا سبيله .

ثم طمع معاوية فيه بعد هذا ، فأرسل إليه يدعوه أن يعينه على المطالبة بدم عثمان ، فقال له :

معاويَ داؤك الداء العُيَاء ... وليس لما تجئ به دواء
أيدعونى أبو حَسَنٍ علىٌّ ... فلم أرْدُدْ عليه ما يشاء
وقلت له اعطنى سيفاً قصيراً ... تَمِيز به العداوةُ والولاء
أتطمع فى الذى أعيا عليًّا ... على ما قد طمعت به العَفاء
ليومٌ منه خير منك حيًّا ... ومَيْتاً أنت للمرء الفداء

وهذا هو الموقف الكريم فى تلك الفتن المشئومة ، ولو أن الناس كلهم وقفوا فيها هذا الموقف لوقاهم الله شرها ، ولم تظل قائمة حتى يأتى

الحسن بن على فيقف منها هذا الموقف الكريم ، ويحقق بهذا قول جده محمد صلى الله عليه وسلم : إن ابنى هذا سيد ، وسيصلح الله به بين طائفتين من المسلمين . فإنه لم يكد يبايع بالخلافة بعد قتل أبيه حتى ترك الأمر لمعاوية ، ليحقن بهذا دماء المسلمين ، ويقضى على تلك الفتن المشئومة ، وقد قال لمن لامه على هذا : ما أحببت أن ألىَ أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، على أن يُهْرَق فى ذلك مِحْجَمَة دم . ولكن مافعله الحسن أتى بعد أوانه ، وبعد أن أفسدت تلك الفتن من نفوس المسلمين ما أفسدت ، وفرقت من كلمتهم ما فرقت .

عظمته فى موته : وقد مات سعد سنة أربع وخمسين من الهجرة ، وكان موته بالعقيق على سبعة أميال من المدينة ، فحمل على أعناق الرجال إليها ، وكان حين حضره الموت قد دعا بجُبَّةٍ خَلَق من صوف قد أعدها لهذا اليوم ، فقال : كفِّنونى فيها ، فإنى كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر وهى علىَّ ، وإنما كنت أخبؤها لهذا .

فرحمك الله ياسعد ، لقد كنت عظيما فى حياتك ، عظيما فى مماتك ، تفتح للمسلمين دولة كسرى العظيمة ، ثم لا تكلفها فى موتك إلا هذه الجبة الخلق ! اللهم إن هذه هى العظمة الحقة ، وإن هذا هو المجد الذى لا مجد بعده ، وإن هؤلاء هم الأبطال الذين لا أبطال مثلهم ، ولا يوجد فى التاريخ من يتواضع فى حياته ومماته كتواضعهم .

مسعود بن ربيعة

نسبه : هو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العُزَّى بن حَمَالة بن غالب بن مُحَلِّم بن عائذة بن سُبَيع بن الهُون بن خُزَيمة بن مُدْرِكة ، من القَارَة ، وهى لقب الهون ، ولهم يقال :

* قد أنصف القَارَةَ من رَامَاهَا *

وكانوا رماة ، وقيل إن أباه كان يسمى عامرا لا ربيعة ، وقيل كان يسمى الربيع ، فهو يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فى خزيمة ، وكان حليفاً لبنى زُهْرة من قريش ، ولم يكن من صميمها .

سنه عند إسلامه : أسلم مسعود بن ربيعة وهو ابن سبعَ عشرةَ سنة تقريباً ، وكان إسلامه قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبى الأرقم ، ولم ينقل عنه أنه أوذى أو عذب فى إسلامه ، ولعله كان يخفى إسلامه ولا يظهره ، لأنه لم يكن له بمكة عشيرة تحميه ، ولهذا أقام بمكة ولم يهاجر إلى الحبشة فيمن هاجر إليها من أولئك الشبان ، وهذا كله يؤيد أنه كان يخفى إسلامه عن قريش ولا يظهره لها .

وقد أقام بمكة حتى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فهاجر إليها ليشارك أولئك الشبان فى جهادهم ، وينال شرف الهجرة

فى سبيل الله تعالى ، وقد آخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه و بين عُبَيْد ابن التَّيْهان من الأنصار ، وذلك حينما كان يؤاخى بين المهاجرين والأنصار فى أول الهجرة إلى المدينة .

جهاده فى الإسلام : ذكر ابن إسحاق فى سيرته مسعود بن ربيعة فيمن شهد بدراً ، وذكره ابن هشام فيمن شهد خَيْبَرَ ، حيث قال : وممن استشهد بخيبر — فيما ذكر ابن شهاب الزُّهْرِىُّ — من بنى زهرة مسعود بن ربيعة حليف لهم من القَارَةِ . وعلى هذا يكون موته فى السنة السابعة من الهجرة .

وقد روى غيره أن مسعود بن ربيعة عاش حتى أدرك خلافة عثمان ابن عفان ، وأنه مات سنة ثلاثين من الهجرة ، وكان قد نَيَّفَ على الستين سنة .

وروى الكلبى أنه كان من ذُرِّيَّة مسعود بن ربيعة محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن مسعود بن ربيعة ، وأنه وفد على مروان ابن الحكم حينما صار الأمر إليه بعد موت يزيد بن معاوية .

جعفر بن أبي طالب

نسبه: هو جعفر بن أبي طالب بن عبد المُطَّلِب جد النبي صلى الله عليه وسلم، فهو أقرب أولئك الشبان إليه مثل أخيه عليٍّ بن أبي طالب.

سنه عند إسلامه: أسلم جعفر وهو ابن ثمانيَ عشرةَ سنة، لأنه كان أكبر من أخيه عليٍّ بعشر سنين، وكان إسلامه بعد خمسة وعشرين من أولئك الشبان، وقيل بعد واحد وثلاثين منهم.

تعذيبه في إسلامه: كان جعفر ممن عذب في إسلامه وأوذي فيه، فهاجر إلى الحبشة فيمن هاجر إليها من أولئك الشبان، وقد أرسلت قريش بعد هجرتهم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بهدايا إلى النَّجَاشِيِّ، ليرد من هاجر إليه من أولئك الشبان، فلما وصلا إليه قالا له:

أيها الملك، إنه قد ضَوَى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم، لتردهم عليهم.

فأبى النجاشىُّ أن يسلمهم إليهما حتى يأتى بهم فيسألهم عما يقولان فيهم ، ثم أرسل إليهم فسألهم عن الدين الذى فارقوا فيه قومهم ، ولم يدخلوا فى مِلَّةٍ من المِلَل ، فقال له جعفر بن أبى طالب :

أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام، ونأكل المَيْتَةَ ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوىُّ منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه ، من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصِلَةِ الرَّحِم ، وحُسْن الجوار ، والكفِّ عن المحارم والدماء ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، فصدَّقناه وآمنا به ، فعدا علينا قومنا فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، فلما قهرونا وظلمونا وضيَّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورجونا ألاَّ نُظْلَمَ عندك أيها الملك .

فلما سمع النجاشى هذا من جعفر رد الهدايا إلى الرسولين ، وأبى أن يسلم إليهما أولئك الغلمان المهاجرين ...

وقد مكث جعفر رضي الله عنه وإخوانه بالحبشة إلى أن كانت السنة السابعة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فهاجروا منها إلى المدينة، بعد أن مكثوا فيها عشر سنين آمنين مطمئنين ، وقد تلقّى النبي صلى الله عليه وسلم جعفرا فقبّل بين عينيه ، وكان قدومه بعد فتح خيبر ، فقال : ما أدري بأيّهما أنا أشدّ فرحا ؟ بقدوم جعفر ، أم بفتح خيبر ؟

جهاده في الإسلام : أخذ جعفر بعد رجوعه من الحبشة يشارك إخوانه في جهادهم ، فلما كانت السنة الثامنة من الهجرة أرسل النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً إلى الشام ، ليقتصوا ممن قتلوا الحارث بن عُمَيْر رسوله إلى أمير بُصْرى ، وكان عدد الجيش ثلاثة آلاف رجل ، فأمّر عليهم زيد بن حارثة ، وقال لهم : إن أصيب زيد فالأمير جعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب جعفر فالأمير عبد الله بن رَوَاحة .

فساروا حتى وصلوا مُؤْتَة ، وهي قرية قريبة من الكُرْك ، وهي مشارف الشام ، وكان الحارث بن عمير قتل فيها ، فوجدوا فيها جموعا من الروم ونصارى العرب تبلغ أضعافهم ، فقاتلوهم ولم يهابوا جموعهم ، ولكن زيداً لم يلبث أن قتل ، فنهض جعفر مكانه ، وأخذ الراية وهو يقول :

يا حَبَّذَا الجنةُ واقترابُهَا طيّبةً وبارداً شرابُهَا

والرُّوم رومٌ قد دنا عذابها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها
عليَّ إذْ لاقيتُها ضِرابها

ثم قاتل حتى قطعت يده اليمنى ، فأخذ اللواء بيده اليسرى ، ثم قاتل حتى قطعت أيضاً ، فاحتضن اللواء بعضديه وقاتل حتى قتل ، وقد أصابه تسعون جراحة ، ما بين ضربة سيف ، وطعنة رمح ، وكان سِنُّه عند موته ثلاثاً وثلاثين سنة ، وقيل إنه كان قد استوفى الأربعين ، وقد أخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة ، فقتل أيضا ، فأمَّرَ خالد بن الوليد نفسه عليهم ، وأمكنه أن يخلص هذا الجيش بحيلة بارعة ، ولولاها لقضت عليه تلك الجموع التى تبلغ أضعافه .

فلم يمكث جعفر بين إخوانه إلا قرابة سنة ، وكأنه لم يأت من الحبشة إلا ليستبدل بغربتها غربة الموت ، ويذهب سريعاً وهو فى ريعان الشباب ، فيعظم مصابه على المسلمين ، ويعظم مصابه على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد كان شديد الحب له ، لأنه كان يشبهه فى خَلْقه وخُلُقه ، وكان يقول له : أشبهت خلقى وخلقى . كما كان يُكَنِّيه أبا المساكين ، لأنه كان خير الناس لهم ، وكان يحبهم ويجلس إليهم ويخدمهم ويخدمونه .

ومما قاله حَسَّان بن ثابت فى رثائه :

ولقد بكيتُ وعَزَّ مهلكُ جعفرٍ حِبِّ النبيِّ على البريَّة كُلِّها

ولقد جزعت وقلت حين نُعِيتَ لى ... مَنْ للجلاد لدى العُقَاب وظلِّها (١)
بالبيض حين تُسَلُّ من أغمادها ... ضرباً وإنهالِ الرماح وعَلِّها (٢)
بعد ابن فاطمة المباركِ جعفرٍ ... خير البرية كلِّها وأجلِّها
رُزْءًا وأكرمها جميعاً محتِدًا ... وأعزِّها متظلَّماً وأذلِّها (٣)
للحق حين ينوب غير تَنَحُّلٍ ... كذباً وأنداها يداً وأقلِّها (٤)
فحشاً وأكثرها إذا ما يُجْتَدَى ... فضلًا وأنداها يدًا وأبلِّها (٥)
بالعُرْف غير مُحَمَّدٍ لا مثلُهُ ... حَيٌّ من أحياء البرية كلِّها (٦)

وقال كعب بن مالك فى رثاء شهداء مؤتة :

نام العيونُ ودمع عينك يَهْمُلُ ... سَحًّا كما وَكَفَ الطِّبَابُ المُخْضِلُ (٧)
واعتادنى حزن فبتُّ كأننى ... ببنات نَعْشٍ والسِّماكِ موَكَّل
وجْدًا على النفر الذين تتابعوا ... يوما بمُؤْتَةَ أُسْنِدُوا لم يُنْقَلوا
صبروا بمؤتة للإلٰهِ نفوسَهُمْ ... حَذَرَ الرَّدَى ومخافةً أن ينكُلوا
فمضَوْا أمام المسلمين كأنهم ... فُنُقٌ عليهن الحديد المُرْفَلُ (٨)

---

(١) العقاب الراية . (٢) الانهال أن تسق الناس بعد الشراب الأول ، والعل الشرب الثانى ، وهما معطوفان على الجلاد . (٣) المحتد الأصل (٤) التنحل الانتحال ، والتنحل الكذب أيضاً . (٥) قوله ـ يجتدى ـ بمعنى تطلب جدواه ، والجدوى العطية . (٦) بالعرف جار ومجرور متعلق بأبلها فى آخر البيت قبله ، والعرف المعروف . (٧) قوله ـ وكف ـ بمعنى قطر ، والطباب ثقب خرز المزادة التى يحمل فيها الماء . (٦) الفنق جمع فنيق وهو الفحل من الابل ، والمرفل الذى يجر أطرافه على الأرض .

صهيب الرومى

نسبه : هو صهيب بن سنان الرُّومىُّ النِّمرِىُّ ، من النَّمرِ بْن قاسط . وهم من ربيعة بن نِزَار بن معَدّ ، فهو يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فى نزار ، وكان حليف بنى تَيْمٍ من قريش ، وإنما قيل له رومى لأنه سبى وهو صغير فى بلاد الروم ، فنشأ بينهم ، وتعلم لغتهم ، ثم ابتاعه بعض بنى كلب من الروم وقدم به مكة ، فابتاعه عبدالله بن جُدْعان التَّيْمى ثم أعتقه ، وكان لسانه ألكن ينطق العربية إلى الرومية ، وقيل إنه كان رومياً ولم يكن عربيا ، وهذا هو ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم : السُّبَّاق أربعة : أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وسلمان سابق فارس ، وبِلاَل سابق الْحَبَش .

سنه عند إسلامه : أسلم صهيب وهو دون العشرين سنة ، وقد أسلم هو وعَمَّار بن ياسِرٍ فى يوم واحد ، وكان إسلامهما بعد دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وكان هذا بعد بضعة وثلاثين من أولئك الشبان ، وقال مجاهد : أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله وأبو بكر وبِلاَل وصهيب وخَبَّاب وعمار وسُمَيَّة أم عمار .

تعذيبه في إسلامه : لم يكن لصهيب عشيرة تحميه في مكة ، فنال ما نال من تعذيب قريش له ، وكان يعذب حتى لا يدرى ما يقول ، ولا يرحم أولئك المشركون غربته بينهم ، ولا يرعون جواره فيهم ، ولكنه صبر على دينه ولم يعبأ بذلك التعذيب ، وأقام بينهم إلى أن هاجر إلى المدينة ، وقد أرادت قريش أن تمنعه من الهجرة طمعا في ماله ، فقالت له : أتيتنا صُعْلوكا حقيراً ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك . فقال لهم : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتُخلُّون سبيلى ؟ قالوا : نعم . قال : فإنى جعلت لكم مالى . فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ما فعله قال : ربح صهيب ، ربح صهيب .

وفى رواية أنه لما هاجر تبعه نفر من قريش يريدون منعه ، فقال لهم : يامعشر قريش ، إنى من أرماكم ، ولا تصلون إلىَّ حتى أرميكم بكل سهم معى ، ثم أضربكم بسيفى ، فإن كنتم تريدون مالى دللتكم عليه . فرضوا أن يأخذوا ماله ويتركوه ، فدلهم عليه فرجعوا وأخذوه ، فلما وصل إلى المدينة قال له النبى صلى الله عليه وسلم : ربح البيع يا أبا يحيى . وقد نزل فيما فعله قوله تعالى فى الآية — ٢٠٧ — من سورة البقرة (ومِنَ الناسِ مَنْ يَشْرِى نفسه ابتغاء مرضاةِ اللهِ) .

جهاده فى الإسلام : روى عن صهيب أنه قال : لم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهداً قَطُّ إلا كنت حاضره ، ولم يُسِرْ سَرِيَّةً قط إلا كنت حاضرها ، ولا غزا غزوة قط إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله ، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم ، وما خافوا وراءهم قط إلا كنت وراءهم ، وما جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى وبين العدو قط حتى تُوُفِّىَ .

وهذا يبين لنا مبلغ جهاد صهيب مع أولئك الشبان ، ويبين كيف ضرب فيه بنصيب لا يقل شأنا عن نصيب أقواهم فى الجهاد ، وقد كان جهاده بماله مثل جهاده بسيفه ، بل كان يصل فى جهاده بماله إلى أبعد حدوده ، حتى أخذ عمر بن الخطاب هذا عليه ، وقال له : يا صهيب ، ما فيك شىء أعيبه إلا ثلاث خصال : أراك تَنْتَسِبُ عربيا ولسانك أعجمى ، وتُكَنَّى باسم نبىٍّ (1) وتبذِّر مالك . فقال صهيب : أما تبذيرى مالى فما أنفقه إلا فى حق ، وأما كُنْيَتِى فكنانيها النبى صلى الله عليه وسلم ، وأما انتمائى إلى العرب فإن الروم سبتنى صغيراً فأخذت لسانهم .

منزلته فى الاسلام وأصله الرومى : وقد أعز صهيب الإسلام بجهاده فأعلى منزلته فى المسلمين ، وحفظ له فضله فى السبق إلى الإسلام ،

(1) كان يكنى أبا يحيى ، وهو اسم يحيى بن زكريا عليهما السلام .

ولم يتأخر به أصله الرومى عن أقرانه من أولئك الشبان ، لأن الإسلام لا يرى فضلا لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، وإنما يتفاضل الناس فيه بالعمل ، كما قال تعالى فى الآية ـ ١٣ ـ من سورة الحُجُرات (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) .

ولهذا أوصى عمر قبل موته أن يكون صهيب هو الذى يصلى عليه ، وأن يصلى بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام ، فصلى بهم إلى أن اتفقوا على عثمان بن عفان .

وكانت وفاة صهيب سنة ثمان وثلاثين من الهجرة ، وقيل سنة تسع وثلاثين ، وكانت سِنُّه عند موته سبعين سنة .

زيد بن حارثة

نسبه : هو زيد بن حارثة بن شُرَحْبِيل الكلبي، كان مَوْلَى النبي صلى الله عليه وسلم ، رآه وهو يباع بمكة قبل بعثته فأعجبه ، وكان غلاما لا يجاوز الثامنة ، فأتى خديجة فذكره لها ، فاشترته ووهبته له . ثم حج ناس من كلب فعرفوه وعرفهم ، فلما رجعوا أخبروا أباه حارثة ، فأتى هو وأخوه كعب بفدائه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو لم يبعث بَعْدُ ، فخيَّره بينه و بين أبيه وعمه ، فاختاره عليهما ، فأعتقه وتبنَّاه ، وأتى الحِجْر أمام قريش فقال : اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه . فلما رأى أبوه وعمه هذا طابت أنفسهما ، ورجعا إلى قومهما ، وصار يدعى إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن أبطِل التبنى فى الإسلام ، فدعى إلى أبيه حارثة .

سنه عند إسلامه : أسلم زيد في حدود العشرين سنة ، وقد ذهب الزُّهْرِيُّ إلى أنه كان أول الناس إسلاما ، والمشهور أنه أسلم بعد أبي بكر وعليّ ، وقد أقام بمكة مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن هاجر إلى المدينة ، فهاجر إليها فيمن هاجر إليها من أولئك الشبان .

جهاده فى الإسلام: كان زيد من أعظم أولئك الشبان كفاية وشجاعة و إقداما ، وقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم فضل كفايته ، فكان لا يخرجه فى سَرِيَّةٍ إلى القتال إلا جعله أميرًا عليها ، وكان يقول فيه : وَايْمُ الله إن كان لخليقاً للإمارة ، وإن كان لمن أحبِّ الناس إلىّ .

وقد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم أميرا على سَرِيَّةِ مُؤْتَةَ كما سبق فى الكلام على جعفر بن أبى طالب ، وكان هذا فى السنة الثامنة من الهجرة ، فذهب زيد بجيشه وهو لا يزيد عن ثلاثة آلاف رجل ، فوجد الروم ونصارى العرب قد جمعوا له جيشا يبلغ مائة ألف رجل ، فانحاز زيد بالمسلمين إلى مؤتة ، وقام القتال فيها بينهم و بين ذلك الجيش الذى يبلغ أضعاف أضعافهم ، فقاتل زيد براية النبي صلى الله عليه وسلم حتى شاطَ [1] فى رماح القوم .

فذهب رحمه الله شهيدا وهو ابن خمس وخمسين سنة ، فكبر مصابه على المسلمين ، وحزن النبى صلى الله عليه وسلم عليه حزنا شديدا .

ومما قاله حسان بن ثابت فى رثائه :

عينُ جودى بدمعك المنزورِ ... واذكرى فى الرخاء أهل القبورِ

(١) شاط هلك ، يقال شاط الرجل سال دمه وهلك .
(٢) المنزور القليل ، يعني أنه بكى حتى فرغ دمعه .

واذكرى مُؤْتَةً وما كان فيها يوم راحوا فى وقعة التغوير[1]
حين راحوا وغادروا ثَمَّ زيدًا نعم مأوى الضَّريك والمأسور[2]
حِبَّ خير الأنام طُرًّا جميعا سيدِ الناس حُبُّه فى الصدور[3]
ذاكُمُ أحمدُ الذى لا سواهُ ذاك حزنى له وسرورى
إنَّ زيدا قد كان منا بأمر ليس أمر المكذَّب المغرور

(١) التغوير الاسراع والانهزام .
(٢) الضريك الفقير .
(٣) كان زيد يلقب حب الرسول .

عثمان بن عفان

نسبه : هو عثمان بن عفَّان بن أبى العاص بن أُمَيَّة بن عبدشمس ابن عبد مَنَاف ، فهو يجتمع فى عبد مناف بالنبى صلى الله عليه وسلم .

سنه عند إسلامه : أسلم عثمان فى حدود العشرين سنة ، وكان قومه بنو أمية زعماء المناهضين للإسلام ، ورؤساء الجامدين فى مكة على القديم ، ولكن الله أراد بعثمان أن يكون من أولئك الشبان السابقين إلى الإسلام ، فهيأ له ما كان سبباً فى هدايته إليه ، وذلك أنه كان جالساً يوما بفناء الكعبة ، فبلغه أن النبى صلى الله عليه وسلم أنكح ابنته رُقَيَّة عُتبة بن أبى لَهَب ، وكانت معروفة بجمالها فى مكة ، فأدركت عثمان حسرة ألاَّ يكونَ سبق عتبة إليها ، فانصرف إلى منزله فوجد خالته سُعْدَى بنت كُرَيز ، وكانت قد طرحت وتكهَّنت لقومها ، فلما رأته قالت :

أَبشِرْ وحُيِّيتَ ثلاثاً وِتْرَا ... ثم ثلاثاً وثلاثاً أخرى

ثم بأخرى كىْ تتمَّ عشرا ... لقيتَ خيراً وَوُقيت شرَّا

نَكحتَ واللهِ حَصَانا زَهْرَا ... وأنت بِكر ولقيت بِكرا

ثم أخبرته ببعثة النبى صلى الله عليه وسلم ، ونصحته أن يؤمن به ، فأتى أبا بكر وكان صديقا له ، فأخبره بما سمع من خالته سعدى ، فرغّبه أبو بكر فى الإسلام ، وكان قد أسلم ، وبينما هما جالسان مر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أبو بكر بأمر عثمان ، فدعاه إلى الإسلام فأسلم .

ولم يلبث عتبة أن طَلَّق رقية كراهة فى الإسلام ، فتزوجها عثمان ، وكان وضيئا حسنا جميلا ، فكان أهل مكة يقولون : أحسن زوجين رآهما إنسان ، رقية وزوجها عثمان . وقد مكثت رقية معه إلى أن ماتت فى غزوة بدر ، فتزوج أختها أم كُلْثوم ، ولهذا كان يلقّب ذا النُّورين .

تعذيبه فى إسلامه : لما أسلم عثمان أوثقه عمه الْحَكَمُ بن أبي العاص كتافا ، وقال له : ترغب عن ملة آبائك إلى دين محمد ! والله لا أحلُّك أبدا حتى تدَعَ ما أنت عليه . فقال عثمان : والله لا أدعه ولا أفارقه . فلما رأى عمه أنه لا يفارق دينه تركه .

ولما اشتد الأذى على عثمان من قومه هاجر إلى الحبشة فيمن هاجر إليها من أولئك الشبان ، ولكنه لم يلبث بها إلا قليلا ، ثم عاد إلى مكة فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة .

جهاده في الإسلام : كان عثمان من العشرة الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقدمهم ، ويستشيرهم في الحرب والسلم ، وقد شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم جميع غزواته ماعدا بدرا ، لأن زوجه رقية كانت مريضة فتخلف من أجلها .

وكان لعثمان مواقف رائعة في بذل المال في الجهاد ، ومن هذا موقفه في غزوة تَبُوكَ ، وقد أتت والمسلمون في عُسْرة شديدة ، وكانوا يقصدون قتال الروم في الشام ، وللروم شأنهم ودولتهم ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الموسرين من أصحابه إلى بذل أموالهم ، فكان عثمان أعظمهم بذلا ، فقد جهَّز نصف الجيش من ماله ، وكان عدده ثلاثين ألفا ، فتصدق بعشرة آلاف دينار ، وأعطى ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، وخمسين فرسا ، وفي رواية أن الجمال كانت تسعمائة ، وأن الخيل كانت مائة ، فبلغ هذا من نفس النبي صلى الله عليه وسلم مابلغ ، حتى رؤى من أول الليل الى أن طلع الفجر رافعاً يديه ، وهو يدعو لعثمان ، ويقول : اللهم عثمان رضيت عنه فارْضَ عنه .

خلافته : وقد بويع عثمان بالخلافة بعد عمر ، وذلك حين قبل من عبد الرحمان بن عوف أن يأخذ فيها بِسنَّةِ الخليفتين قبله ، فلا يستأثر بها لأحد بعده من أقاربه ، وقد مكث فيها إحدى عشرة سنة وأحد

عشر شهرا وعشرين يوما ، وفتح فيها كثيرا من بلاد الفُرْس والروم ، فأقبلت الدنيا على المسلمين ، ووسع عثمان لهم فيها ، لأنه لم يكن يضيق عليهم فيها كعمر ، وقد كان الرجل منهم يأتى عمر فيستأذنه فى الغزو ، فيقول له : قد كان لك غزوك مع رسول الله ، وخير لك من غزوك اليوم ألاَّ ترى الدنيا وتراك .

فأحب الناس عثمان ولينه فى خلافته ، وجعلوا يفضلون أيامه على أيام عمر ، ولكن خلافته طالت عليهم ، وكل طويل يُمَلُّ ، وكان هناك قوم من المتنطِّعين فى الدين لم يرضهم توسعته للناس فى أمر الدنيا ، وقوم من شيعة أهل البيت خافوا أن تصير الخلافة بعده إلى بنى أمية ، لأنهم ظهروا فى أيامه ، وكان منهم أكثر عماله ، وكان منهم كاتبه ومشيره مروان بن الحَكَم ، فأخذوا يثيرون الناس عليه ، ويسعون فى عزله عن الخلافة ، حتى انتهت خلافته بتلك الفتن التى لا يزال المسلمون يجنون آثارها إلى اليوم .

بينه وبين الخارجين عليه : كان الخارجون على عثمان فريقين أظهرت الأيام بعده سر خروجهما عليه : فأما الفريق الأول فهم الذين سُمُّوا فيما بعد باسم الخوارج ، وكانوا قوماً من المتنطِّعين فى الدين ، فأنكروا على عثمان توسعته على الناس فى أمر الدنيا ، ولكنهم كانوا فى أنفسهم ينكرون على قريش استئثارهم بالخلافة وإمارة الأمصار ، وقد

ذهبوا بعد تكوين فرقهم إلى أن الخلافة يجب أن تكون عامةً في المسلمين ، ولا يصح أن يستأثر بها قريش ولا غيرهم .

وأما الفريق الثاني فهم شيعة أهل البيت ، وقد ظهروا أيضاً بعد عثمان برأيهم في أن علياً كان أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان .

وكان بين أولئك الخوارج على عثمان فريق يسعى فيها لطلحة والزبير ، ولكنهم كانوا من القلة بحيث لم يظهر لهم أثر كالذي ظهر لذينك الفريقين .

ولا شك أن عثمان لم يظهر منه أمر صريح في أنه كان يريد أن يجعل الخلافة من بعده لبني أمية ، وإنما هي أوهام وخيالات قامت بنفوس أولئك الثائرين عليه ، والإسلام لا يجيز أخذ الناس بمثل ذلك الظن الآثم ، ولا سيما إذا كان يؤدي إلى فتنة المسلمين ، وإلى تفريق كلمتهم .

وقد كان بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يأخذون على عثمان تقريبه لبني أمية في خلافته ، ولكنهم كانوا يأخذونه بالنصح الرفيق ، ولا يستبيحون لأنفسهم الخروج عليه ، لأنهم كانوا أخلص للإسلام أن يوقعوه في تلك الفتن لتلك الهنات التي يؤاخذونه بها ، وهي هنات ترجع إلى سياسته في الحكم ، ولا تمس الدين والعقيدة .

ولقد كانت اليد الظاهرة في تلك الفتنة يد عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، وكان يهودياً فأسلم ، وكأنه كان مدفوعاً إلى

الـكيد للإسلام من أيد خفية غاظها ما أدركه من نجاح ، وما صار له من تلك الدولة القوية ، فبينما كان هذا الرجل يعمل فى تدبير تلك الفتنة ، كان علىٌّ وطلحة والزُّبير وسعد وغيرهم من كبار الصحابة هادئين فى بيوتهم ، لا يعنيهم شئ من أمر تلك الفتنة ، ولا يجتمعون بأحد من القائمين بها ، ومن الإثم كل الإثم أن نأخذ عثمان بفتنة يدبرها رجل مشكوك فى إسلامه كابن السوداء ، وأن ننكر ذلك الماضى المجيد لعثمان ، كما أنـكره أولئك القوم الذين أعماهم التنطع فى الدين ، ولعبت بهم الأهواء والظنون .

وكان الذى يريده أولئك الثائرون من عثمان أن يعتزل الخلافة . فأبى أن يجيبهم الى ما طلبوا . وما كان له أن يعتزل الخلافة لمثل ابن السوداء وأشباهه ، ولـكنه لم يأخذهم بالشدة التى كان يجب أخذهم بها ، حتى تغالوا فى أمرهم ، واجتمعوا عليه بالمدينة فحاصروه فى داره ، وانتهى أمرهم بقتله ، فأوقعوا المسلمين فى شر فتنة ، وفرقوا كلمتهم الى يومنا هذا .

وإنه ليكفى فى أنه قتل مظلوماً أن الزُّبَير وطلحة وعائشة قاموا يطالبون بدمه ، وأن عليًّا كان يتبرَّأ منه ، ولم يمنعه من القصاص من قاتليه إلا إستفحال الفتن فى خلافته ، وهؤلاء هم الذين يجب أن يعتمد عليهم فى أمره .

طليب بن عمير

نسبه : هو طُلَيب بن عُمَير بن وهب بن أبي كبير أو كثير
عبد بن قُصَيٍّ بن كلاب ، فيجتمع فى قصى بالنبي صلى الله عليه وس
وكانت أمه أَرْوَى بنت عبد المطَّلب .

سنه عند إسلامه : أسلم طليب وهو فى حدود العشرين س
وكان إسلامه بعد دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، ولمـا
ذهب إلى أمه أروى فقال لها : إنى اتبعت محمدا . فقالت له : إن أ
من وازرت ابن خالك ، والله لو نقدر على ما يقدر عليه الرجال لمنع
ولذببنا عنه .

تعذيبه فى إسلامه : وقد أوذى طليب بن عمير فى إسلا
أوذى أولئك الشبان ، فهاجر إلى الحبشة فيمن هاجر منهم إل
ولـكنه لم يلبث إلا قليلا فيها ، ثم عاد إلى مكة فأقام بها حتى
منها إلى المدينة .

جهاده فى الاسلام : كان طليب بن عمير أول من دَمَّى مشر
الاسلام، وذلك أنه سمع وهو بمكة أن عَوْفَ بن صَبِرة السَّهْمِيَّ يشتم

ى الله عليه وسلم ، فأخذ لَحْىَ جمل فضرب به فَشَجَّهُ . فقيل لأمه أروى :
ترين ما فعل ابنك ! يريدون منها أن تعاقبه على فعله ، وتنهاه عن
فاع عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم تسمع لشكواهم منه ، بل قالت لهم :

إنَّ طُلَيبا نصر ابن خالِهْ   واساهُ فى ذى دمه ومالِهْ

وقيل إن طليبا شَجَّ خاله أبا لَهَبٍ لما حصر المشركون المسلمين فى
شِعْبِ أبى طالب ، فأخذ المشركون طليبا فأوثقوه ، فقام دونه خاله
لهب حتى يخلصه منهم ، ثم شكاه الى أخته أروى . فقالت له : خير
مه أن ينصر محمدا .

وهناك رواية أخرى فى أول من دَمَّاه طليب من المشركين .
يل إنه أبو إهاب بن عزُيَر الدَّارِمِىُّ ، لا عوف بن صبرة السهمى ،
كانت قريش حملته على الصك بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فلقيه
يب فشجه .

وقد شهد طليب بعد الهجرة الى المدينة غزوات النبي صلى الله
يه وسلم ، وذكر ابن سعد فى طبقاته أن الواقدى تفرَّد بذكره فى
ل بدر ، نعم حكى ذلك ابن منده وموسى بن عقبة .

ثم اشترك طليب فى الفتوح بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ،
هد فتح الشام فى خلافة أبى بكر ، وفاز بالشهادة فى وقعة أجْنَادِين ،

خباب بن الأرت

نسبه : هو خَبَّاب بن الأرتّ بن جندلة التَّمِيمىّ ، وتميم من مُضَرَ بن نِزَار ، فهو يجتمع فى مضر بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان قد سُبِىَ فى الجاهلية وبيع بمكة ، فاشترته أم أنْمار بنت سباع الْخُزَاعية ، وكان آل سباع حلفاء بنى زُهْرة من قريش ، ولهذا يعد خباب فى بنى زهرة كما يعد فى بنى خزاعة .

سنه عند إسلامه : أسلم خباب وهو فى حدود العشرين سنة ، وكان سادس من أسلم من أولئك الشبان ، وهو أول من أظهر إسلامه منهم ، وهذا يدل على كمال شجاعته وجراءته ، لأنه لم يكن له عشيرة تحميه بمكة .

تعذيبه فى إسلامه : وكانت شجاعة خباب فى إسلامه سبباً فى أنه نال من عذاب المشركين ما لم ينله غيره ، فقد بلغ من تعذيبهم له أنهم كانوا يلصقون ظهره بالرَّضف ، ويلبسونه درعا من الحديد ، ثم يصهرونه فى الشمس ، وكانت مولاته أم أنمار تأخذ الحديدة المحماة فتضعها على رأسه ليكفر بدينه فلا يطاوعها .

ولما اشتد الأذى على خباب وغيره من أولئك الشبان ذهب فى نفر منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فشكوا له ما يلاقون من قريش، وقالوا له : ألاَ تستنصر لنا . يطلبون منه أن يدعو الله أن ينتقم لهم من قريش ، فجلس محمرًّا وجهه ، ثم قال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض ، ثم يجاء بالْمِنْشار ويوضع على فرق رأسه فَيُشَقّ ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمنَّ الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حَضْرَمَوْتَ ، لا يخشى إلا الله عزَّ وجلَّ والذئب على غنمه ، ولكنكم تعجلون .

وقد أقام خباب بمكة حتى هاجر منها إلى المدينة ، وكان قَيْناً يعمل السيوف فى الجاهلية ، فكان يعمل فيها بمكة .

جهاده فى الإسلام : شهد خباب بعد الهجرة جميع غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، وعاش حتى مات سنة سبع وثلاثين من الهجرة على الأصح ، فأدرك الخلاف بين عليّ ومعاوية ، وكان من الذين انضموا إلى عليّ فى هذا الخلاف ، وقد أوصى قبل موته أن يدفن بظاهر الكوفة ، فدفن كما أوصى ، وكان أهلها يدفنون موتاهم فى أَفْنِيَتِهِمْ وعلى أبواب دورهم ، فَسَنَّ خباب بذلك سُنَّة حسنة فى دفن الموتى ، وكان سِنُّه عند موته ثلاثاً وستين سنة .

وقد مَرَّ عليٌّ بقبره فقال : رحم الله خبابا ، أسلم راغباً ، وهاجر طائعا ، وعاش مجاهدا ، وابْتُلِيَ في جسمه أحوالا ، ولن يضيع أجره .

وقيل إن خبابا توفى سنة تسع عشرة من الهجرة ، والأول هو الأصح ، وإذا صح أنه مات وهو ابن ثلاث وستين سنة ، فيكون سِنُّه عند إسلامه حوالى خمس عشرة سنة .

عامر بن فهيرة

نسبه : هو عامر بن فُهَيرة مُوَلَّد من مولدى الأَزْدُ ، وكان أسود مملوكا للطُّفَيل بن عبد الله ، فاشتراه أبو بكر منه كما سيأتى ، ولهذا ينسب إلى تَيْمٍ قوم أبى بكر بالولاء .

سنه عند إسلامه : أسلم عامر بن فهيرة وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وكان إسلامه قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ابن أبى الأرقم .

تعذيبه فى إسلامه : كان عامر بن فهيرة مملوكا للطفيل بن عبد الله حين أسلم ، فأخذ يعذبه ليرجع عن دينه فلم يطاوعه ، وكان يعذبه حتى لايدرى ما يقول ، فلما رأى أبو بكر ما ينزل به من العذاب اشتراه منه وأعتقه ، فأقام فى بيته يرعى له غنمه .

وقد أقام بمكة إلى أن هاجر النبى صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر من مكة إلى المدينة ، وكانا قد اختفيا بغار ثَوْرٍ حتى ينقطع الطلب عنهما ، فكان عامر اذا أمسى أراح عليهما بغنم أبى بكر ، فاحتلبا

وذبحا. ثم خرج معهما إلى المدينة بعد أن انقطع الطلب عنهما ، فحاز بهذا شرف الهجرة معهما.

جهاده فى الإسلام : اشتغل عامر بن فهيرة بعد الهجرة الى المدينة بحفظ القرآن ، وانقطع الى النبى صلى الله عليه وسلم يتفقه عليه فى الدين ، ويأخذ عنه ما يعلمه الله من العلوم ، وكان هو وأمثاله ممن اتجه فى حياته هذا الاتجاه العلمى يعرفون بين المسلمين باسم القُرَّاء .

فلما كانت السنة الرابعة من الهجرة وفد ملاعب الأسِنَّة عامر ابن مالك الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد . وقال : إنى أرى أمرك حسناً شريفاً ، ولو بعثت معى رجالا من أصحابك الى أهل نجد رجوت أن يستجيبوا لك .

فجهَّز النبى صلى الله عليه وسلم له عامر بن فهيرة فى سبعين من القراء ، وأوصاه بهم ، وأخذ عليه العهود والمواثيق أن يحافظ عليهم ، لأنهم حفاظ القرآن ، وأوعية العلوم ، فسار بهم ملاعب الأسنة حتى نزلوا بئر مَعُونَة ، وهى بئر بين أرض بنى عامر وحَرَّة بنى سُلَيْم ، فبعثوا رسولا منهم الى عامر بن الطُّفَيل يدعوه الى الإسلام ، فسار اليهم عامر ابن الطفيل فى جموع كثيرة من سُلَيم وعُصَيَّة ورِعْل وذَكْوَان ،

فَغَشَوْهم وأحاطوا بهم من كل جانب ، فأخذ القراء سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم ، ولم ينج منهم إلا اثنان .

وكان عامر بن فهيرة فيمن قتل منهم ، طعنه بعض بنى جَبَّار بن سلْمى بالرمح بين كتفيه ، فنظر الى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعه يقول : فزت والله . فقال فى نفسه : ما فاز ، ألست قتلت الرجل ؟ ثم سأل عن قوله . فقالوا : الشهادة . فقال : فاز لَعَمْرُ الله . وكان هذا سبباً فى إسلامه .

وقد حزن النبى صلى الله عليه وسلم على أولئك القراء حزناً شديداً ، ومكث شهراً يدعو فى صلاته على من قتلهم .

مصعب بن عمير

نسبه : هو مُصْعَب بن عُمَير بن هاشم الْعَبْدَرِىُّ ، من بنى عبد الدار بن قُصَىٍّ بن كِلاَّب ، فهو يجتمع فى قصى بالنبي صلى الله عليه وسلم .

سنه عند إسلامه : أسلم مصعب وهو ابن أربع وعشرين سنة ، وكان إسلامه بعد دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبى الأرقم .

تعذيبه فى إسلامه : لما أسلم مصعب كتم إسلامه عن أمه وقومه خوفا منهم ، وكان قبل إسلامه أنعم غلام بمكة ، وأجوده حُلَّة ، وأحسنه لِمَّة ، وأطيبه عطرا ، ومثله فى هذا الحال لايتحمل ما كان يتحمله أولئك الشبان من العذاب وضيق العيش ، ولعل هذا هو الذى جعله يكتم إسلامه .

ولكن عثمان بن طلحة علم بإسلامه ، فأعلم قومه به ، فأخذوه فأوثقوه وحبسوه ، ولم يزل محبوساً إلى أن هرب منهم ، وهاجر إلى الحبشة فيمن هاجر إليها من أولئك الشبان ، ولكنه لم يلبث فيها

إلا قليلاً ، ثم عاد إلى مكة فأقام بها فى ظَلَف العيش ، ولم يَعُدْ يرى ذلك النعيم الذى كان فيه قبل إسلامه .

وكان أولئك الشبان يصيبهم فى مكة ظلف العيش ، ولكنهم كانوا يتحملونه ، فلم ينل منهم ما نال من مصعب ، لِمَا نشأ فيه من ذلك النعيم قبل إسلامه ، فجهد بعد إسلامه جَهْدًا شديدا ، وظهر عليه الضعف والهزال ، حتى كان جلده يتحشَّف كما يتحشف جلد الحيَّة.

وقد روى عن علىّ أنه قال : كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، إذ طلع علينا مصعب بن عمير ، وما عليه إلا بُرْدَةٌ له مرقوعة بِفَرْوٍ ، فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم بكى للذى كان فيه من النعمة ، ولِمَا صار إليه .

ولكن مصعبا صبر على هذا الضيق أجمل صبر ، وكان يلازم النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى حفظ القرآن ، وتفقَّهَ فى الإسلام ، فلما كانت بيعة العَقَبَةِ الأولى أرسله النبى صلى الله عليه وسلم مع من بايعه فيها من أهل المدينة ، ليدعو أهلها إلى الإسلام ، ويقرأهم القرآن ، ويفقِّههم فى الدين ، فقام بما كلفه النبى صلى الله عليه وسلم به خير قيام ، ونشر الإسلام بين أهلها ، وأشاعه فيها ، ومهَّد بهذا لهجرة النبى صلى الله عليه وسلم إليها ، وأسدى به للإسلام جميلا عظيما ، لأنه

الهجرة كانت نقطة التحول فى الإسلام ، وكان لها عليه فضل لا ينسى مدَى الأزمان .

جهاده فى الإسلام : كان بنو عبد الدار قوم مصعب أصحاب اللواء فى قريش ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم مصعبا صاحب اللواء فى الإسلام ، وقد شهد غزوة بَدْرٍ ، وكان صاحب اللواء فيها ، ولما أُسر فيها أخوه أبو عزيز قال لمن أسره وكان من الأنصار : شُدَّ يدك به ، فإن أمه ذات متاع ، لعلها تفديه منك . فقال له أبو عزيز : يا أخى ، هذه وصاتُك بى ! فقال له : إنه أخى دونك . فسألت أمه عن أغلى ما فُدِى به قرشى ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم . ففدته بأربعة آلاف درهم .

ثم شهد مصعب أحُدًا ، وكان صاحب اللواء فيها أيضا ، وقد ثبت فيها مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم ينهزم كما انهزم غيره ، فقاتل دون النبي صلى الله عليه وسلم أشد قتال ، ووقف بجانبه يرد عنه من يقصده من المشركين ، وقد أقبل ابن قَمِئَةَ يريد النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : دُلُّونى على محمد ، فلا نجوت إن نجا . فاعترضه مصعب يدفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فضربه ابن قمئة بسيفه فقتله .

وهو يظن أنه قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يدرى أن مصعبا فداه بنفسه ، وأبقاه للغاية العظمى التى بعثه الله تعالى من أجلها .

فما أعظم جميلك يامصعب على الإسلام حين فديت نبيك بنفسك! وما أعظم أجرك عند الله حين ذهبت فى الرَّعيل الأول ! ولم تشاهد ما شاهد غيرك من دنيا المسلمين ، فترجع إلى مثل نعيمك فى الجاهلية ، وتستبدل بِظَلَفِ العيش رغده ورفاهيته ، ولكن ما عند الله خير لك وأبقى .

ولم يكن على مصعب حين قتل إلا ثوب قصير ، فكانوا إذا غَطَّوا به رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطوا به رجليه بدت رأسه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : غطُّوا به رأسه ، واجعلوا على رجليه شيئا من الإذْخِرِ (١) .

(١) الاذخر الحشيش الأخضر ، ونبات طيب الرائحة .

المقداد بن الأسود

نسبه : هو المِقْدَاد بن عمرو بن ثعلبة الْبَهْرَاوِىُّ ، وكان الأسود ابن عبد يَغُوث الزُّهْرِىُّ تبنَّاه ، فغلبت نسبته إليه على نسبته إلى أبيه عمرو ، والبهراوى نسبة إلى بَهْرَاءَ من قُضَاعة ، وكان أبوه عمرو أصاب دماً فى قومه فهرب إلى حَضْرَمَوْتَ ، ونزل فى بنى كِنْدة ، فولد له فيها المقداد ، فلماشَبَّ نازعه أبو شَمِرِ بن حُجْرٍ الكندى ، فضرب رجله بالسيف وهرب إلى مكة ، فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهرى فتبنَّاه ، على عادتهم فى التَّبَنِّى قبل الإسلام :

سنه عند إسلامه : أسلم المقداد وهو ابن أربع وعشرين سنة ، وقد عده ابن مسعود فى السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام بمكة ، فيكون إسلامه فى السابقين إلى الإسلام من أولئك الشبان .

تعذيبه فى إسلامه : قد لقى المقداد فى إسلامه ما لقيه أولئك الشبان ، فهاجر فيمن هاجر منهم إلى الحبشة ، ولكنه لم يمكث فيها إلا قليلا ، ثم رجع إلى مكة فأقام بها ، وقد هاجر الى المدينة حين هاجر النبى صلى الله عليه وسلم اليها .

جهاده فى الإسلام : كان المقداد من أعظم أولئك الشبان شجاعة وإقداماً ، وهو أول من قاتل على فرس فى سبيل الله تعالى ، وإذا كان لغزوة بدر فضلها فى إعزاز الإسلام ، فإن المقداد صاحب أكبر فضل فيها ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج فيها يريد عيرَ قريش مع أبى سفْيان ، فلما علمت قريش بخروجه خرجت بجيش يبلغ ثلاثة أمثال المسلمين، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يستشيرهم، أيقصد العيرَ أم يقصد ذلك الجيش الذى خرج لقتالهم ؟ فلما اجتمعوا قال لهم : أيها الناس ، إن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين أنها لكم : العِير أو النَّفِير . فتبين له أن بعضهم يريد غير ذات الشَّوْكة وهى العِير ، فقالوا : هَلَّا ذكرت لنا القتال فنستعدَّ .

فقام المقداد فقال : يا رسول الله ، امض لِمَا أمرك الله ، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (إذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُونَ) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، والله لو سرت بنا إلى بَرْكِ الغِماد[1] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه .

(١) موضع بناحية اليمن .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم له خيراً ودعا له ، وكان لكلمته أثرها فى نفوس المترددين فى القتال ، فمضوا إلى ذات الشوكة ببدر ، ونالوا فيها أول نصر وأعظمه ، وهو النصر الذى أعزَّ الإسلام ، وأذلَّ الشرك ، وأوقع هيبة المسلمين فى قلوب المشركين ، بعد أن كانوا فى مكة يلاقون منهم ما يلاقون .

وقد شهد المقداد فتح مصر مع عمرو بن العاص ، ومات فى خلافة عثمان سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة ، وهو ابن سبعين سنة .

عبد الله بن جحش

نسبه : هو عبد الله بن جحش بن رَباب الأَسَدِيُّ ، من أسد ابن خُزَيمة بن مُدْرِكة ، فهو يجتمع فى خزيمة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان حليف بنى عبد شمس بن عبد مَنَافٍ ، وأمه أُمَيْمة بنت عبد المُطَّلِب .

سنه عند إسلامه : أسلم عبد الله بن جحش وهو ابن خمس وعشرين سنة تقريباً ، وكان إسلامه قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وقد أسلم معه أخواه عبد الرحمان وأبو أحمد ، وأخواته زينب وأم حبيب وحَمْنة .

تعذيبه فى إسلامه : وقد عذب عبد الله بن جحش فى إسلامه كغيره من أولئك الشبان ، فهاجر فيمن هاجر منهم إلى الحبشة ، ولـكنه أقام فيها قليلا ثم رجع إلى مكة ، فأقام بها حتى هاجر منها إلى المدينة ، وقد هاجر معه من أسلم من أهله ، ولم يبق فى دارهم أحد فأغلقت ، وقد نظر إليها عتْبَةُ بن ربيعة تخفق أبوابها يَبَابا[1] ليس فيها ساكن ، فقال :

(١) اليباب القفر .

وكلُّ دار وإن طالتْ سلامتها يوماستدركها النكباء والحُوبُ[1]

وقد عدا عليها أبو سفيان بن حرب فباعها من عمرو بن علقمة ، فذكر عبد الله هذا للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا خيرا منها فى الجنة . قال : بلى . قال : فذاك لك .

جهاده فى الاسلام : كان عبد الله بن جحش أول من عقدت له راية فى الاسلام ، فقد روى عن سعد بن أبى وقاص أنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سَرِيَّة فقال : لأبعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش . فبعث علينا عبد الله بن جحش ، فكان أول أمير فى الاسلام .

وكانت هذه السرية إلى نخلة ليترصدوا بها عِير قريش فى تجارتها إلى الشام ، فمضى عبد الله بن جحش هو وأصحابه حتى نزلوا نخلة ، فمرت بهم عير لقريش تحمل تجارة لها ، وكان معها عمرو بن الحضرمىّ ورجال من قريش ، وكان هذا فى آخر يوم من رجب ، وهم فى السنة الثانية من الهجرة ، فتشاور عبد الله بن جحش وأصحابه فى قتالهم ، وهابوا أن يقاتلوهم فى هذا الشهر ، ولكنهم شَجَّعوا أنفسهم وحملوا عليهم ،

---

(١) الحوب التفجع ، والبيت لأبى دواد الايادى .

فقتلوا بعضهم وأسروا بعضهم ، وساروا بالغنيمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قدموا عليه قال لهم : ما أمرتكم بالقتال فى الشهر الحرام . فسُقِطَ فى أيديهم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وقالت قريش : قد استحلَّ محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا الأموال . فنزل قوله تعالى فى الآية — ٢١٧ — من سورة البقرة (يسألونكَ عَنِ الشهرِ الحرامِ قتالٍ فيهِ قُلْ قتالٌ فيهِ كبيرٌ وصَدٌّ عَنِ سبيلِ اللهِ وكفرٌ بهِ والمسجدِ الحرامِ وإخراجُ أهلهِ منهُ أكبرُ عندَ اللهِ) .

ففرح عبد الله بن جحش وأصحابه بنزول هذا القرآن فى شأنهم ، وذهب ذلك الحزن عنهم ، وقال عبد الله يرد على قريش :

تَعُدُّون قتلاً فى الحرام عظيمةً ... وأعظمُ منه لو يرى الرشدَ راشدُ
صدودُكُمُ عما يقول محمدٌ ... وكفرٌ به واللهُ راءٍ وشاهدُ
وإخراجُكم من مسجد الله أهلَهُ ... لئلاَّ يُرَى لله فى البيت ساجدُ
فإنا وإن عيَّرتمونا بقتله ... وأرجف بالاسلام باغٍ وحاسدُ
سقينا من ابن الحضرميِّ رماحَنا ... بنخلةَ لمَّا أوقد الحربَ واقدُ[1]

---

(١) هو واقد بن عبد الله ممن كان مع عبد الله بن جحش .

دَماً وابنُ عبدِ اللهِ عثمانُ بيننا ينازعه غُلٌّ من القِدِّ عاند[1]

ثم شاهد عبد الله بن جحش بعد هذا غزوة أُحُدٍ، فثبت فيها مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولم ينهزم فيها كمن انهزم من المسلمين، وقد قاتل بسيفه حتى انقطع، وكان ممن فاز بالشهادة فى هذه الغزوة، فقتل فيها وهو ابن نيِّفٍ وأربعين سنة، ودفن مع خاله حمزة بن عبد المُطَّلِبِ.

---

(١) القد شرك يقطع من الجلد، والعاند السائل بالدم لا ينقطع.

عمر بن الخطاب

نسبه : هو عمر بن الخَطَّاب بن نُفَيل العَدَوىُّ ، من عَدِىِّ بن كعب ابن لُؤَىٍّ ، فهو يجتمع فى كعب بالنبى صلى الله عليه وسلم .

سنه عند إسلامه : أسلم عمر وهو ابن ست وعشرين سنة ، وكان آخر أولئك الشبان إسلاماً ، لأنه كان شديد الطبع ، صعب القياد ، وهذا إلى أنه كان إليه فى الجاهلية وظيفة السِّفَارة فى قريش ، فإذا وقعت حرب بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيراً ، وإذا نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر ورضوا به بعثوه منافراً ومفاخراً ، فأورثته شدته شيئاً من التعصب على هذا الدين الجديد ، وحملته وظيفته على التمسك بالقديم ، لأنها تضيع عليه إذا لم يتمسك به .

وقد سبق فى الكلام على سعيد بن زيد أنه لما أسلم هو وزوجه فاطمة أخت عمر ذهب إليهما فآذاهما ، وضرب فاطمة فأسال دمها ، فلما رأى دمها يسيل أدركه شىء من الندم على ما فعل ، وقال لها : أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرؤون آنفاً ، أنظر ما هذا الذى جاء به محمد ؟ فقالت له : إنا نخشاك عليها . فقال لها : لا تخافى . وحلف

لها بآلهته ليردَّنّها إذا قرأها إليها ، فلما قال هذا طمعت فى إسلامه ، وقالت له : يا أخى ، إنك نجس على شركك ، و إنه لا يمسُّها إلا الطاهر. فقام فاغتسل ، فأعطته الصحيفة فقرأها ، وكان فيها سورة طـٰهٰ ، فلما قرأ صدراً منها قال : ما أحْسَنَ هذا الكلام وأكرمه .

وكان خَبَّابُ بن الأرتِّ ببيت سعيد قد اختفى من عمر خوفاً منه ، فلما سمع منه هذا خرج إليه فقال له : ياعمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خَصَّكَ بدعوة نبيه ، فإنى سمعته أمس وهو يقول : أللّٰهُمَّ أيِّدِ الإسلام بأبى الحَكَمِ بن هشام أو بعمر بن الخطاب ، فاللهَ اللهَ ياعمر . فقال له عمر : فَدُلَّنى يا خباب على محمد ، حتى آتيه فأُسْلِم . فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفَا معه فيه نفر من أصحابه — يعنى دار الأرقم بن أبى الأرقم — فأخذ عمر سيفه فتوشَّحه ، ومضى ظاهراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليه الاسلام فأسلم .

انتهاء الدعوة السرية بإسلامه : كان عمر صلباً شديداً لا يخشى أحداً من قومه ، فجهر بإسلامه بينهم ، وذهب إلى رؤساء قومه فأخبرهم به واحداً واحداً ، فكان كل واحد منهم يأسف حين يخبره به ، ويمنعه شرفه أن يعتدى عليه ، ولكن هذا لم يَكفِ عمر ، لأنه يريد أن يتحدَّى بإسلامه قريشاً كلهم ، فجاء إلى الحِجْر وقريش مجتمعة ، فأعلن

إسلامه بينهما ، فما زالوا يضربونه ويضربهم حتى قدم خاله ، وكان شريفاً فيهم ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا له : ابن الخطاب . فقام على الحجر فأشار بِكُمِّه وقال : أَلَا إنى أجرت ابنَ أختى . فانكشف الناس عنه .

ولكن عمر عاد فى الغد إلى الحجر وقريش مجتمعة ، فردَّ على خاله جواره ، فقال خاله : لا تفعل يا ابن أختى . فقال عمر : بل هو ذاك . فما زالوا يضربونه ويضربهم ، حتى أعياهم أمره ، ونالت منهم جراءته عليهم ، وقد ضرب بهذا مثلا عظيما لأولئك الشبان المختفين فى دارهم عند الصفا ، فقويت نفوسهم ، وأجمعوا على الظهور بإسلامهم ، فظهروا به بين قومهم ، وأخذت الدعوة الإسلامية طريقها إلى الذيوع والشيوع ، بعد أن كانت مختفية بتلك الدار لا تجاوز جدرانها ، والفضل فى هذا لعمر وجراءته فى إسلامه ، وقوته فى دينه .

وقد أقام عمر بمكة يناضل قومه ويناضلونه ، إلى أن هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فكان أولئك الشبان يهاجرون إليها فى خفية ، ولكن عمر لم يرض لنفسه أن يفعل فعلهم ، فتقلد سيفه حين خرج مهاجراً ، وتنكَّب قوسه ، ثم مضى إلى الكعبة والملأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أتى المقام فصلّى ، ثم وقف على الحِلَقِ واحدة واحدة ، وقال لهم : شاهَتِ الوجوه ، لا يُرْغِم الله إلا هذه

أَلمَاطِس ، من أراد أن تثكله أمه ، و يُؤْتِم ولده ، ويُرْمِل زوجته ، فَلْيَلْقَنِي وراء هذا الوادي . فلم يتبعه أحد منهم ، وقد هاجر في حمايته نحو عشرين من المسلمين المستضعَفِين بمكة .

جهاده في الإسلام : شهد عمر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يقف في المعارك بجانبه ، فيشرف معه على القتال ، و يساعده في توجيه الجند ، ومنزلة الرأي في الحرب قبل الشجاعة . كما قال الْمُتَنَبِّي :

الرأيُ قبل شجاعة الشجعانِ ... هو أوَّلٌ وهي المحلُّ الثاني

وكان لعمر الرأي الحازم ، والعقل الراجح ، ولا غرو فقد كان سفير قومه في الجاهلية ، وهي وظيفة تكسب صاحبها تجربة وخُبْرة ، وتفيده رأياً وتدبيراً .

خلافته : قد وَلِيَ عمر الخلافة بعد أبي بكر بعهد منه ، فمكث فيها عشر سنين تقريباً ، أخذ المسلمين فيها بعدله وحزمه ، وساسهم براجح عقله وحسن نظره ، ففتح لهم مملكتي الْفُرْس والروم ، واستولى على العراق والشام ومصر والجزيرة وديار بكر وأرمينِيَّة و بلاد فارس .

وهذا إلى ماقام به فيها من الإصلاح في نظام الدولة ، والتجديد في الحكم والسياسة ، فهو الذي وضع الدواوين التي تدرَّب فيها المسلمون على الكتابة الإنشائية ، وانتقلت اللغة العربية بها من البداوة إلى

الحضارة ، وهو الذى نظم القضاء ووضع فيه رسالته المشهورة ، وهو الذى أخرج الجاليات الأجنبية من اليهود والنصارى إلى بلادها الأصلية ، لتبقى بلاد العرب شعبا واحدا ودينا واحدا ، لأنها مهد الاسلام ، وموئله وملجؤه ، فيجب أن تكون خالصة له ، حتى لا تؤثر فيها الخلافات الدينية ، وحتى لا تقضى على وحدتها وائتلافها ، كما تقضى على كل بلد نكب بها . وهو الذى كان يمنع العرب من الهجرة من بلادهم إلى ما فتحوه من البلاد ، لتبقى بلاد العرب عامرة بهم ، ولا يتفرقوا فى غيرها من البلاد ، فيفنوا فى غيرهم من الشعوب ، ويأكلهم التَّرَف كما أكل غيرهم من الأمم .

وقد كان لهذا النجاح الذى أدركه عمر فى خلافته أثره فى نفوس الشعوب التى فتح بلادها ، وقضى على دولها ، فكانت قلوبها تغلى حقدا عليه ، ويكاد الغيظ منه يأكلها أكلا ، وكان فى المدينة غلام فارسى للمغيرة بن شُعْبة يقال له فَيْروز ، وكنيته أبو لؤلؤة ، وكان نَجَّارا نقَّاشا حَدَّادا ، فشكا المغيرة إلى عمر ، لأنه جعل عليه خراجا درهمين كل يوم ، فسأله عمر عن صناعته ، فأخبره بأنه نجار نقاش حداد ، ثم سأله عن خراجه كل يوم ، فأخبره بأنه درهمان ، فقال عمر له : فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال ، قد بلغنى أنك تقول : لو أردت أن

أعمل رحاً تطحن بالريح فعلت . فقال أبو لؤلؤة : نعم . فقال عمر : فاعمل لى رحا . فقال أبو لؤلؤة : إن عشت لأعملن لك رحا يتحدث بها من فى المشرق والمغرب . ثم انصرف ، فقال عمر : لقد تهددنى العبد آنفاً .

وكانت فراسة عمر فيه صادقة ، ولكن أولئك الشبان كانوا من قوة الإيمان بحيث لا يعيرون وزنا لذلك التهديد من مثل ذلك الغلام ، فلم تمض ثلاثة أيام حتى تربص له أبو لؤلؤة فى صلاة الصبح ، فلما كبَّرَ الناس قصده بخنجر فى يده ، فضر به ستّ ضربات إحداهن تحت سُرَّته ، ثم حاول أن يهرب فتكاثر الناس عليه فقتل نفسه ، وكانت ضربات عمر قاتلة ، ولكنه لم ينس أمر المسلمين بعده وهو على بضع خطوات من الموت ، فَدَبر لهم الخليفة بعده ، وجعله شورى فى عثمان وعلىّ والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمان بن عوف ، فإن اتفقوا على واحد منهم فهو الخليفة ، وإن اختلفوا فالخليفة ما يتفق عليه أكثرهم ، فإن تساووا رَجَّح بينهم ابنه عبد الله ، على أنه لا شئ له من أمر الخلافة . ثم مات رحمه الله لثلاث بقين من ذى الحِجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة .

فضائله : كان عمر عادلا لم يشهد التاريخ مثل عدله فى حكمه ، وقد بلغ من عدله أنه كان إذا نهى الناس عن شيء جمع أهله وقال لهم : إنى

نهيت الناس عن كذا وكذا ، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم ، وأقسم بالله لا أجد أحدا فعله إلا أضعفت عليه العقوبه . وقد أقام حد الخمر على ابنه وهو مريض فمات به ، واقتص لبعض أهل مصر من ابن أميرها عمرو بن العاص ، فأمكنه من ضربه كما ضربه ، وسلَّطه على عمرو ليضربه ، لأن ابنه إنما ضربه بسلطانه ، فأبى واكتفى بضرب ابنه .

وكان لا يميز نفسه بشيء على المسلمين ، بل كان يأكل مما يأكلون منه أو أقَلَّ منه ، ويلبس مما يلبسون أودنه ، وقد أراد زيارة الشام فأخذ غلامه معه ، فلما دنا من الشام ركب بعيره وعلى رحله فَرْوٌ مقلوب ، وأعطى غلامه مركبه ، فلما تلقاه الناس ظنوه الغلام ، فسألوه : أين أمير المؤمنين ؟ فقال لهم : أمامكم (يعنى نفسه) ولكنهم أخذوا كلامه على ظاهره ، وساروا حتى وصلوا إلى الغلام ، ولم يُشُكُّوا فى أنه أمير المؤمنين ، حتى أتاهم الخبر بأن هو الذى تَلَقَّوه أوَّلا .

وكان زاهدا ناسكا ، ولكنه زهد القوة ، ونُسُك الْعِزَّة ، لا زهد الضعف ، ولا نسك الذِّلَّة ، وكان يضرب على يد من يحاول أن يظهر بمظهر الضعف فى زهده ونسكه ، وينهاه أن يميت على الناس دينهم ، كما أماته بعد من ظهر فى المسلمين باسم المتصوِّفة ، وقد رأت الشِّفاء

بنت عبدالله فتيانا يقصدون فى مشيهم ، ويتكلمون رُوَيْدًا ، فقالت : ما هذا ؟ قالوا : نُسَّاك . فأنكرت هذا عليهم ، ثم قالت : كان والله عمر إذا تكلم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وهو والله ناسك حقًّا .

وكان عمر شديدا فى دينه ، والشدة فى الدين محمودة ، ولا سيَّما فى أمة ناشئة تريد أن تأخذ مكانها بين شعوب أكلها التَّرَف ، وقد نال النساء شىء من شدته ، فكان يحجب نساءه على خلاف ما كان يفعل الزُّبَير وغيره ، وينسب إليه أنه قال فى النساء : جَنِّبوهنَّ الكتابة ، ولا تسكنوهنَّ الغُرَفْ ، واستعينوا عليهنَّ بلا ، فإن نَعَمْ تغريهنَّ فى المسألة . وهو الذى أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بحجب نسائه ، فقالت له زينب : إنك عذاب يا ابن الخطاب ، والوحى ينزل فى بيوتنا . وقد نزل القرآن بما أشار به عمر من حجبهن ، لأنهن حُرِّمن على الرجال بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، فحجبن عنهم لقطع أطماعهم فيهن ، وهذا أمر لا يشاركهن فيه غيرهن من نساء المسلمين ، وقد كان غير عمر من الصحابة لا يأخذ نساءه بهذه الشدة ، ولا يسىء الرأى فيهن إلى ذلك الحد .

أبو عبيدة بن الجراح

نسبه : هو أبو عُبَيْدة عامر بن عبدالله بن الْجَرَّاح الْفِهْرِيُّ ، من فِهْرِ بن مالك بن النَّضْر ، فهو يجتمع فى فِهْرِ بالنبى صلى الله عليه وسلم.

سنه عند إسلامه : أسلم أبو عبيدة وهو ابن سبع وعشرين سنة تقريبا ، وقد أسلم فى وقت واحد هو وعثمان بن مظعون وعُبَيْدة بن الحارث وعبد الرحمان بن عَوْف وأبو سَلَمَة بن عبد الأسد ، وكان إسلامهم قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبى الأرقم.

تعذيبه فى إسلامه : كان أبو عبيدة ممن أوذِىَ فى إسلامه من أولئك الشبان ، فهاجر فيمن هاجر منهم إلى الحبشة ، ولكنه بقى بها قليلا ثم رجع إلى مكة ، فأقام بها حتى هاجر منها إلى المدينة ، فحاز بهذا شرف الهجرتين معاً.

جهاده فى الإسلام : كان أبو عبيدة ممن كان النبى صلى الله عليه وسلم يقدمه على أولئك الشبان ، ويعتمد على رأيه أكثر مما يعتمد على سيفه ، وقد شهد غزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان له فى غزوة بدر موقف يدل على كرم أولئك الشبان ، وعلى كرم الإسلام الذى

دانوا به ، فقد جعل أبوه عبد الله يتصدّى له يريد قتله ، وهو ابنه وفلذة كبده ، ولكنه جحود الشرك وقسوته ، فكان أبو عبيدة يحيد عنه ولا تطاوعه يده أن تمتد إليه ، لِمَا جاء به الإسلام من بِرِّ الوالدين ولو كانا مشركين ، ولكن أباه لم يؤثر فيه هذا الموقف الكريم من ابنه ، فأكثر التصدى له ليقتله ، فلما رأى أبو عبيدة أنه إن لم يقتله قتله فى غفلة منه هان عليه قتله ، فطعنه فقتله وتخلص منه .

وقد اشترك أبو عبيدة فى فتح الشام تحت قيادة خالد بن الوليد ، وكان هذا فى خلافة أبى بكر ، فلما تولى عمر بعده عزل خالداً وولى أبا عبيدة مكانه ، فأتاهما الكتاب وهم محاصرون دمشق ، فأخفياه حتى تم فتحها ، ثم سلم خالد قيادة الجيوش إلى أبى عبيدة ، وحارب تحت إمرته كما حارب هو تحت إمرته .

وقد مكث أبو عبيدة أميراً على الشام حتى مات به سنة ثمانى عشرةَ من الهجرة ، وكان سنه عند موته ثمانىَ وخمسين سنة ، وقيل إحدى وأربعين سنة ، ودفن بِفَحْل من أرض الأردُنّ ، ويقال إن قبره ببيسان .

فضائله : كان أبو عبيدة صادقاً أميناً ، حتى ضرب المثل بأمانته ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لكل أُمَّة أمين ، وأمين هذه الأمة

أبو عبيدة بن الجراح . وكان ذا خلق سهل سمح ، يحب الوفاق ويكره
الخلاف ، وقد أمَّرَ النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص على سَرِيَّة ،
فبعث إليه يطلب مَدَدًا ، فأمده بجيش فيه أبو بكر وعمر ، وأمَّرَ عليه
أبا عبيدة ، فلما قدموا على عمرو قال لهم : أنا أميركم . فقالوا له : بل
أنت أمير أصحابك ، وأبو عبيدة أميرنا . فقال عمرو لهم : إنما أنتم
مددى . فلما رأى أبو عبيدة أن هذا سيجر إلى خلافهم قال لعمرو :
تَعَلَّمْ يا عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى : إن قدمت على
صاحبك تطاوعا ، وإنك إن عصيتنى أطعتك . فجمع بهذا كلمتهم ،
ورضى أن يكون عمرو أميره وهو أسبق منه إسلاماً ، وأقدم منه هجرة .

وقد جعله عمر أميراً على الشام فلم يغير هذا شيئاً من مظهره ، ولم
يمل به إلى جانب التَّرَف الذى يميل إليه من كان أميراً مثله ، وقد زار
عمر الشام فأتاه أمراء الأجناد . فقال : أين أخى أبو عبيدة ؟ فقالوا :
يأتى الآن . فأتى أبو عبيدة على ناقة مخطومة بحبل ، فسلم على عمر ، ثم
سار معه حتى أتى منزله ، فلم ير عمر فيه شيئاً إلا سيفه وتُرْسَه ورحله .
فقال له : لو اتخذت متاعاً . فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين ، إن
هذا يبلغنا المَقِيل .

عتبة بن غزوان

نســبه : هو عُتَبة بن غَزْوانَ بن جابر بن وَهْب بن نَسيب بن مالك ابن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَةَ بن قَيْس عَيْلان المازنىُّ ، وقيس عيلان من مُضَرَ ، فهو يجتمع فى مضر بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل إنه من عامر بن لُؤِىٍّ بن غالب ، وعلى هذا يجتمع فى لؤى بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان حليف بنى عبد شمس من قريش ، وقيل إنه كان حليف بنى نوفل منهم .

سنه عند إسلامه : أسلم عتبة بن غزوان وهو ابن سبع وعشرين سنة ، وقد ذكر فى خطبة له بالبصرة أنه كان سابع سبعة فى الإسلام ، فيكون على هذا سابع من أسلم من أولئك الشبان .

تعذيبه فى إسلامه : كان عتبة بن غزوان ممن أُوذِىَ فى إسلامه من أولئك الشبان ، فهاجر فيمن هاجر منهم إلى الحبشة ، ولكنه لم يلبث بها إلا قليلا ، ثم عاد إلى مكة فأقام بها ، وقد ذكر فى تلك الخطبة السابقة أنه بلغ من ضيق عيشهم بها أنه لم يكن لهم طعام بها إلا ورق الشجر ، حتى قرحت أشداقهم ، وساء حالهم ، وقد هاجر إلى المدينة فيمن

هاجر إليها من أولئك الشبان ، فحاز بهذا شرف الهجرة إلى الحبشة وشرف الهجرة إلى المدينة ، وكان عُبَيْدة بن الحارث قد سار فى سَرِيَّة فى السنة الأولى من الهجرة ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثَنِيَّة الْمَرَة ، فلقى بها جمعاً عظيما من قريش ، ففر منهم إلى المسلمين الْمِقْداد ابن الأسود وعتبة بن غزوان ، وكانا قد خرجا معهم ليتوصلا إلى هذا الغرض .

جهاده فى الاسلام : شهد عتبة بن غزوان غزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد ولاه عمر فى خلافته قيادة بعض الفتوح ، فسار حتى وصل إلى أرض البصرة ، فافتتح الأبلة ودست ميسان وغيرهما من تلك النواحى .

وهو الذى أنشأ مدينة البصرة حين تم له فتح ما حولها من البلاد ، وهى المدينة التى كان لها أعظم فضل على العلم والأدب فى الاسلام ، ولا تزال باقية بالعراق إلى اليوم ، وقد جعله عمر والياً عليها بعد إنشائها ، فأقام واليا عليها مدة من الزمن ، ثم أقبل على عمر بالمدينة يستعفيه من ولايتها سنة سبع عشرة من الهجرة ، وقيل سنة عشرين منها ، فأبى عمر أن يجيبه إلى ما طلب منه ، فرجع إليها من المدينة ، فمات فى الطريق بمعدن بنى سليم . وكان سِنُّه عند موته سبعا وخمسين سنة .

أبو حذيفة بن عتبة

نسبه : هو أبو حُذَيفة مِهْشَم وقيل قيس بن عتْبة بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قُصَىٍّ . فهو من بنى عبد شمس من قريش . والنسبة إليها عَبْشَمِىٌّ . و يجتمع فى عبد مناف بالنبى صلى الله عليه وسلم .

سنه عند إسلامه : أسلم أبو حذيفة وهو فى حدود الثلاثين سنة ، وكان إسلامه بعد دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وقيل إنه أسلم بعد ثلاثة وأربعين ممن أسلم من أولئك الشبان .

تعذيبه فى إسلامه : لما أسلم أبو حذيفة غضب عليه أبوه عتبة . وكان من أشراف قريش ، فطرد أبا حذيفة من داره ، وأخذ يؤذيه ليرجع إلى دينه ، فهاجر أبو حذيفة فيمن هاجر من أولئك الشبان الى الحبشة ، ولكنه لم يلبث بها الا قليلا ، ثم عاد الى مكة فأقام بها حتى هاجر منها الى المدينة ، فحاز بهذا شرف تَيْنِكَ الهجرتين .

جهاده فى الاسلام : شهد أبو حذيفة غزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد دعى فى بدر إلى البراز فمنعه النبى صلى الله عليه وسلم من الخروج الى من دعاه اليه من المشركين ، وكان أبوه عتبة فيمن قتل

من أشراف قريش ببدر، فلما سحب إلى قَلِيب بدر [1] ليقذف فيها مع من قذف فيها من قتلى قريش، نظر النبى صلى الله عليه وسلم فى وجه ابنه أبى حذيفة، فإذا هو كئيب قد تغيَّر لونه، فقال له :

يا أبا حذيفة، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شئ .

فقال أبو حذيفة :

لا والله يا رسول الله، ما شككتُ فى أبى ولا فى مصرعه، ولكنى كنت أعرف من أبى رأياً وحلماً وفضلا، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذى كنت أرجو له، أحزنني ذلك .

فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم بخير، وقال له خيرا .

وقد شهد أبو حذيفة وقعة اليمامة فى صدر خلافة أبى بكر، فقتل فيمن قتل فيها من المسلمين، وفاز بالشهادة فى سبيل الله تعالى، وكان سِنُّه عند موته ستاً وخمسين سنة .

---

(١) القليب البئر .

بلال بن رباح

نسبه : هو بِلال بن رَبَاح الحبشى ، كان عبداً لِأُمَيَّةَ بن خَلَف ، فاشتراه منه أبو بكر بعد إسلامه وأعتقه ، فكان ولاؤه لأبى بكر .

سنه عند إسلامه : أسلم بلال وهو فى حدود الثلاثين سنة ، وكان من السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام بمكة ، فيكون إسلامه فى السابقين إلى الإسلام من أولئك الشبان .

تعذيبه فى إسلامه : كان بلال عبداً من عبيد مكة ، ولكنه كان فى إسلامه قوياً جريئاً ، لا يهاب جبابرة قريش وطغاتها ، فلما أظهر إسلامه فى السبعة الذين سبقوا إلى إظهار الإسلام من أوائك الشبان ، كبر هذا على سيده أمية بن خلف ، وكان جَبَّاراً من جبابرة قريش ، فكان يخرجه إذا حميت الظَّهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللَّاتَ وَالْعُزَّى . فيقول بلال وهو فى ذلك البلاء : أَحَدٌ أحد .

وكان وَرَقَةَ بن نوفل يمر على بلال وهو يعذب بذلك ، ويسمعه وهو يقول : أحدٌ أحد ، فيقول : أحدٌ أحد ، والله يا بلال . ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع هذا من قومه بنى جُمَح من قريش فيقول لهم : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنَانا (١)

وما زال بلال يلقى هذا العذاب حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : لو معنا شئ لاشترينا به بلالا . وكانت دار أبي بكر فى بنى جمح ، فمر بهم وهم يصنعون ذلك ببلال ، فقال لأمية بن خلف : ألَا تتقى الله فى هذا المسكين ؟ حَتّى مَتى ؟ قال : أنت الذى أفسدته ، فأنقذه مما ترى . فقال أبو بكر : أفعل ، عندى غلام أسود أجلد منه ، وأقوى على دينك ، أعطيكه به . فقال أمية : قد قبلت . فقال أبو بكر : هو لك . فأعطاه غلامه ذلك ، وأخذ بلالا فأعتقه .

وقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين بلال وأبي عُبَيْدَةَ ابن الْجَرّاح ، فسوّى بهذا بينه وبين أبناء أشراف قريش ، لأن الإسلام دين الْحُرِّيَّة والمساواة ، وكان بلال حسن الصوت ، فاتخذه النبي صلى الله عليه وسلم مؤذناً له إلى وفاته .

---

(١) يريد أن يتخذه موضع حنان ورحمة ومظنتهما ، فيستمطر عنده ويلوذ بجواره .

جهاده فى الإسلام : شهد بلال جميع غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان مؤذنه كما سبق ، فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر ذهب بلال إليه وقال له : يا خليفة رسول الله ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أفضل أعمال المؤمن الجهاد فى سبيل الله ، وقد أردت أن أرابِطَ حتى أموت .

فناشده أبو بكر اللهَ أن يؤذِّن له كما أذَّن للنبى صلى الله عليه وسلم ، فأذَّن له إلى وفاته .

ولما استخلف عمر ذهب بلال إليه فقال له مثل ما قال لأبى بكر ، فطلب عمر منه أنْ يؤذِّن له ، فأبى وأصَرَّ على طلبه ، فأجابه عمر إلى ما طلب ، فخرج مجاهداً إلى الشام ، فرابط فيها للجهاد إلى أن مات بدمشق سنةَ عشرين من الهجرة ، وكان سِنُّه عند إسلامه بِضْعاً وستين سنة .

خالد بن سعيد وأخوه عمرو

نسبهما : هما خالد وعمرو بنا سعيد بن العاص الأمَوِيَّان ، من أُمَيَّة ابن عبد شمس بن عبد مَنَافِ بن قُصَىّ ، فهما يجتمعان فى قصى بالنبى صلى الله عليه وسلم ، ويُكَنَّى أبوهما أبا أُحَيْحَةَ .

سنهما فى إسلامهما : أسلم خالد وهو فى حدود الثلاثين سنة ، وقيل إنه كان ثالث من أسلم من أولئك الشبان ، وقيل إنه كان رابعهم ، وقيل إنه كان خامسهم ، وروى عنه أنه قال : أسلمت قبل علىٍّ ، لـكِنْ كنت أفْرَقُ أبا أحيحة ، وكان لا يَفْرَقُ أبا طالب . وكان سبب إسلامه أنه رأى رؤيا أنه على شِعْب نار ، فأراد أبوه أن يرميه فيها ، فإذا النبى صلى الله عليه وسلم قد أخذ بِحُجْزَته ، فأصبح فأتى أبا بكر فقال له : اتبع محمدا ، فإنه رسول الله . فأتاه فأسلم ، وأسلمت معه امرأته أُمَيْنَة بنت خلف .

وأسلم أخوه عمرو فى حدود الثلاثين أيضا ، وكان إسلامه بعد قليل من إسلام خالد ، وقد أسلمت معه امرأته فاطمة بنت صفوان .

تعذيبهما فى إسلامهما : كان سعيد أبوهما من أشراف قريش ، وقد بلغ من شرفه أنه كان إذا اعْتَمَّ لم يعتمَّ قرشى إعظاما له ، ولهذا يقول فيه الشاعر :

أبا أُحَيْحَةَ مَن يعتمَّ عِمَّتَهُ يُضْرَبْ و إن كان ذا مال وذا عَدَدِ

فلما علم بإسلام خالد أرسل إخوته إليه فأتوا به ، فسبَّه وضربه بعصًا فى يده حتى كسرها على رأسه ، ثم قال له : اتبعت محمدا وأنت ترى خلافه قومَهُ ، وما جاء به من عيب آلهتهم ، وعيب من مضى من آبائهم . فقال له خالد : قد والله تبعته على ما جاء به . فغضب أبوه ونال منه ، ثم قال له : إذهب يا لُكَعُ حيث شئت ، والله لأ منعنَّك القوت . فقال له خالد : إن منعتنى فإن الله يرزقنى ما أعيش به . فأخرجه أبوه من بيته ، وقال لإخوته : لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت بخالد . فانصرف خالد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان يلزمه ويعيش معه ، ورضى به أبا بدل أبيه .

ولما علم سعيد بإسلام ابنه عمرو طرده من بيته كما طرد خالدا .

وقد هاجرا إلى الحبشة فيمن هاجر إليها من أولئك الشبان ، ومكثا بها مع جعفر بن أبى طالب وغيره ، إلى أن هاجروا منها إلى المدينة فى السنة السابعة من الهجرة .

جهادهما في الإسلام : شهد خالد وعمرو غزوات النبي صلى الله عليه وسلم بعد رجوعهما من الحبشة ، ثم استعمل النبي صلى الله عليه وسلم خالدا على صدقات اليمن ، واستعمل عمراً على ثمار خيبر ، ومات وهما عاملان له عليهما ، وكان أخوهما أبان عاملا له على البحرين .

فلما وَلِيَ أبو بكر الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم تركوا أعمالهم ، ورجعوا إلى المدينة ، فقال لهم : ما لكم رجعتم ؟ ما أحد أحَقُّ بالعمل من عُمَّال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إرجعوا إلى أعمالكم .

فقالوا له : نحن بنو أُحَيْحة ، لا نعمل لأحد بعد رسول الله .

ولعل السبب في تركهم أعمالهم لأبي بكر أنهم لم يكونوا راضين عن خلافته ، وأنهم كانوا يرون أن عليَّ بن أبي طالب أحقُّ بها منه ، وقد مكثوا ستة أشهر لا يبايعون أبا بكر ، ولم يبايعوه إلا بعد أن بايعه عليّ ، وما كان يصح لهم قبل مبايعته أن يتولَّوْا عملا له ، ولهذا رضوا بعد أن بايعوه أن يتولوا بعض أعماله ، فقد استعمل أبو بكر خالدا على جيش من جيوش الشام ، وكان معه أخواه عمرو وأبان ، وقد استشهدوا جميعاً في يوم مَرْج الصُّفَّر عند دمشق ، وقيل إن عمرا قتل بأَجْنَادِين .

عياش بن أبي ربيعة

نسبه : هو عَيَّاشُ بن عمرو بن المُغيرة المخزومي ، من بني مخزوم ابن يَقَظَة بن مُرَّة بن كعب ، فهو يجتمع في مرة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أبوه عمرو يُكَنَّى أبا ربيعة ، وهو أخو هشام بن المغيرة ، وكانت أم عياش تسمى أسماء ، وقد تزوجت هشاماً قبل أخيه عمرو ، فولدت له الْحَكَمَ بن هشام ، وهو الذي يُكنى أبا جهل ، وكان من ألَدِّ أعداء الإسلام .

سنه عند إسلامه : أسلم عياش وهو في حدود الثلاثين من عمره ، وكان إسلامه قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وقد أسلمت معه امرأته أسماء بنت سلامة .

تعذيبه في إسلامه : لما علم أهل عياش بإسلامه عذبوه حتى يرجع عن دينه ، فلم يؤثر فيه تعذيبهم ، وكان أشدهم عليه أخواه أبو جهل والحارث ، وقد هاجر منهم إلى الحبشة فيمن هاجر إليها ، ولكنه لم يمكث بها إلا قليلا ، ثم رجع إلى مكة فأقام بها حتى هاجر منها إلى المدينة .

فلما علمت أمه أسماء بهجرته حلفت ألاَّ يدخل رأسها دُهْن ، ولا تستظلَّ من شمس ، حتى تراه .

فسار أخواه أبو جهل والحارث إليه بالمدينة ، فأخبراه بما تفعله أمه ، وقالا له : أنت أحبُّ ولد أمك إليها ، وأنت فى دين منه برُّ الوالدين ، فارجع إلى مكة فاعبد ربك كما تعبده بالمدنية .

فرقَّتْ نفس عياش لأمه ، وصَدَّق أخويه بعد أن أخذ عليهما المواثيق ألاَّ يغشياه بسوء ، وخرج معهما إلى مكة ، فلما بعدا به عن المدينة أوثقاه رباطا ، ودخلا به مكة نهارا مُوثَقاً ، وقالا : يا أهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهائكم ، كما فعلنا بسفيهنا . ثم حبساه فى مكة ببيت لا سقف له ، ونسيا المواثيق التى أخذها عليهما .

فمكث عياش محبوساً بمكة إلى أن مضت غزوة بدر وأُحُد والخندق ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو له فى قنوته ، ثم قال يوما : من لى بعياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص ؟ وكان محبوسا مع عياش بمكة ، فقال الوليد بن المُغِيرة : أنا لك يارسول الله بهما . ثم خرج إلى مكة فقدمها مستخفيا ، واحتال حتى خلصهما من حبسهما ، ثم قدم بهما المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ففرح بهما ، وسر بلقائهما .

جهاده فى الإسلام : شهد عياش غزوات النبي صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من مكة إلى المدينة ، ثم اشترك فى فتح الشام على عهد أبى بكر وعمر ، وقد مات شهيداً بها سنة خمس عشرة من الهجرة ، وقيل إنه مات شهيدا باليمامة فى خلافة أبى بكر .

عامر بن ربيعة

نسبه : هو عامر بن ربيعة بن كعب العَنْزِىُّ، من عَنْز بن وائل ابن ربيعة بن نِزار بن معَدٍّ ، فهو يجتمع فى نزار بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان حليف بنى عَدِىٍّ من قريش ، لأن الخَطَّاب بن نُفَيل والد عمر كان قد تَبَنَّاه ، فكان يُدعى إليه فى الجاهلية ، فلما أبطل الإسلام التَّبنِّىَ دُعِى إلى أبيه ربيعة .

سنه عند إسلامه : أسلم عامر بن ربيعة وهو فى حدود الثلاثين من عمره ، وكان إسلامه بعد دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ابن أبى الأرقم ، وقد أسلمت معه امرأته لَيْلى بنت أبى حَثْمَةَ .

تعذيبه فى إسلامه : كان عامر بن ربيعة ممن أوذى فى إسلامه من أولئك الشبان ، وقد هاجر فيمن هاجر منهم إلى الحبشة ، وهاجرت معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمَةَ ، فلما ركبت بعيرها تريد الهجرة أتاها عمر بن الخطاب قبل إسلامه فقال لها : إلى أين يا أم عبد الله ؟

فقالت له : آذيتمونا فى ديننا ، فنذهب فى أرض الله ، حيث لا نُؤْذَى فى عبادة الله .

ولكنهما لم يلبثا فى الحبشة إلا قليلا ، ثم رجعا إلى مكة فأقاما بها إلى أن هاجرا منها إلى المدينة ، وكانا أول من قدمها بعد أبى سَلَمَة ، فكانا من السابقين إلى الإسلام ، ومن السابقين إلى الهجرة .

جهاده فى الإسلام : شهد عامر بن ربيعة جميع غزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد قتل له فى غزوة الطائف ابنه عبد الله الأكبر ، وكان له ولد يسمى عبد الله الأصغر ، ولد له بعد الهجرة بست سنين .

وقد عاش عامر حتى أدرك آخر خلافة عثمان ، وشاهد بوادر الفتن بين المسلمين ، ورأى أن كلمتهم ستتفرق بعد اجتماعها ، وأن ألفتهم ستذهب بعد التئامها ، فدعا الله أن يقبض روحه قبل أن يشاهد تلك الفتن ، ويرى تلك المصائب تحلّ بالمسلمين ، فاستجاب الله دعاءه ، وتوفّاه قبل قتل عثمان ، وكانت وفاته سنة ثنتين وثلاثين من الهجرة ، وقيل إنها كانت قبل قتل عثمان بأيام قليلة .

نعيم بن عبد الله

نسبه : هو نُعَيْم بن عبدالله بن أسيد بن عبد عَوْف بن عَبِيد ابن عُوَيج بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ ، فهو من بني عدى من قريش ، ويجتمع في كعب بالنبي صلى الله عليه وسلم : وكان يُلَقَّبَ بالنَّحَّام ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : دخلت الجنة فسمعت من نعيم نحمة فيها ، والنحمة السَّعْلة .

سنه عند إسلامه : أسلم نعيم بن عبد الله وهو فى حدود الثلاثين من عمره ، وكان إسلامه بعد عشرة من أولئك الشبان ، وقيل أنه أسلم بعد ثمانية وثلاثين منهم .

بره بقومه : كان نعيم كثير البِرِّ والإحسان بمكة ، فأحبه قومه بنو عدى ، لأنه كان كثير الإحسان إليهم ، وكان ينفق على أراملهم وأيتامهم ويمونهم ، ولكنه تَخَوَّف أذاهم فى أول إسلامه ، فكان يكتمه عنهم ، وقد كان مع هذا يجتهد ما أمكنه فى دفع الأذى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن هذا أن عمر بن الخطاب خرج يوماً متَوَشِّحاً سيفه يريد النبي صلى الله عليه وسلم ورهطاً من أصحابه ، قد

ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند أصل الصفا — وهى دار الأرقم ابن أبى الأرقم — وكان عمر لم يسلم فى ذلك الوقت ، فلقيه نعيم بن عبد الله وقال له : أين تريد ؟ فقال : أريد محمداً هذا الصابئ الذى فرَّق أمر قريش ، وسفَّه أحلامها ، وعاب دينها ، وسبَّ آلهتها ، فأقتله . فقال له نعيم : والله لقد غرَّتك نفسُك من نفسِك يا عمر ، أترى بنى عبد مَنَافٍ تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً ، أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم . فقال عمر : وأىُّ أهل بيتى ؟ فقال له نعيم : خَتَنُكَ وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما . فانصرف عمر عن قصده من قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، ورجع إلى سعيد وأخته ، فهداه الله الى الإسلام على ما سبق فى ذكر إسلامه .

ولما أظهر نعيم إسلامه كان قومه بنو عدى يدفعون الأذى عنه ، لِبرِّهِ بهم ، وإحسانه إليهم ، حتى إنه لما أراد أن يهاجر إلى المدينة قالوا له : أقِمْ عندنا على أىِّ دين شئت ، فوالله لا يتعرض أحد إليك إلا ذهبت أنفسنا جميعاً دونك . فأقام بينهم ست سنين ، ثم تاقت نفسه إلى الهجرة إلى المدينة ، ليشارك المسلمين فى جهادهم ، وينال شرف الهجرة إليهم ، فهاجر إليها بعد هذه المدة التى قضاها بمكة ،

فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم اعتنقه وقَبَّله ، ثم قال له : قومك خير لك من قومي : فقال نعيم : بل قومك خير يا رسول الله . فقال له : قومي أخرجوني ، وقومك أقَرُّوك . فقال نعيم : يا رسول الله ، قومك أخرجوك إلى الهجرة ، وقومي حبسوني عنها .

فعدَّ نعيم تأخره عن الهجرة إساءة له ، لأنها كانت أعظم شرف بعد الإسلام ، وكان أولئك الشبان يتسابقون إليها ، حباً في الجهاد الذي ظهر بعدها ، ورغبة في مشاركة المجاهدين فيما يبذلون من أنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى ، ولا شرف أعلى من هذا الشرف ، ولا هجرة أكرم من هذه الهجرة .

جهاده في الإسلام : هاجر نعيم إلى المدينة عامَ الْحُدَيْبِيَة ، فشهد ما بعدها من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم شارك في الفتوح على عهد أبي بكر وعمر ، وكان ممن خرج إلى فتح الشام ، وقد نال الشهادة فيه يوم اليَرْمُوك ، وكان هذا سنة خمس عشرة من الهجرة ، وقيل إنه قتل يوم أَجْنَادِينَ ، وكان قبل يوم اليرموك .

وقيل إنه قتل بِمُؤْتَةَ مع زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله ابن رَوَاحَة ، وكان هذا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

آل مظعون

نسبهم : هم عثمان وعبد الله وقُدامة والسائب أبنـاء مظعون ابن حبيب الْجُمَحِيُّون ، من جُمَحَ بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَىّ ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، فهم يجتمعون فى كعب بالنبى صلى الله عليه وسلم .

سنهم عند إسلامهم : أسلم عثمان بن مظعون فى حدود الثلاثين من عمره ، وكان إسلامه بعد ثلاثة عشر من أولئك الشبان .

وأسلم عبد الله بن مظعون وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان إسلامه مع أخيه عثمان .

وأسلم قُدامة بن مظعون وهو ابن تسع عشرة سنة ، وكان إسلامه مع أخيه عثمان .

وأسلم السائب بن مظعون وهو دون إخوته فى السِّنِّ ، لأن أخاه عثمان كان أكبرهم ، وكان إسلامه مع أخيه عثمان .

وأسلم السائب بن عثمان بن مظعون فى حدود العشر من السنين ، وكان إسلامه مع أبيه عثمان .

تعذيبهم فى إسلامهم : لقى آل مظعون فى إسلامهم من الأذى ما لقيه أولئك الشبان ، فهاجروا فيمن هاجر منهم إلى الحبشة ، وكانوا يذكرون غربتهم فيألمون لها ، ويشكون منها فى شعرهم ، ومن هذا قول عثمان بن مظعون يعاتب ابن عمه أُمَيَّة بن خَلَفٍ على إيذائه له :

أَتَيْمَ بن عمرٍو للَّذى جاء بغضةً
ومن دونه الشرْمانُ والبركُ أكتعُ (١)

أأخرجتنى من بطن مكة آمناً
وأسكنتنى فى صَرْح بيضاءَ تقْذَعُ (٢)

تَرِيش نبالاً لا يواتيك ريشُهَا
وتبرى نبالاً ريشها لك أجمع

وحاربت أقواما كراما أعزَّةً
وأهلكت أقواما بهم كنت تفزع

ستعلم إنْ نابتك يوماً مُلِمَّةٌ
وأسلمك الأوباش ما كنت تصنع

---

(١) تيم بن عمرو هو جمح جدهم الأعلى وكان يسمى تيما ، والشرمان البحر ، والبرك جماعة الابل .

(٢) الصرح العالى من الأبنية ، وقوله ـ تقذع ـ بمعنى تذم ولا تستريح النفس لسكناها .

وقد مكثوا قليلا بالحبشة ثم رجعوا إلى مكة ، فمنعهم أهلها أن يدخلوها إلا فى جوار واحد من المشركين ، فدخل عثمان فى جوار الوليد بن المغيرة ، ولكنه رأى أولئك الشبان يلاقون من الأذى ما يلاقون ، ورأى نفسه يروح ويغدو آمنا فى جوار الوليد بن المغيرة ، فقال لنفسه : والله إن غُدُوِّى ورواحى بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهل دينى يلقَوْن من البلاء والأذى فى الله ما لا يصيبنى ، لنقص كبير فى نفسى . ثم مشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس ، وَفَتْ ذِمَّتُك ، وقد رَدَدْتُ إليك جوارك . فقال له الوليد : ولِمَ يا ابن أخى ؟ لعله آذاك أحد من قومى . فقال له عثمان : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله ، ولا أريد أن أستجير بغيره . فقال له الوليد : فانطلق إلى المسجد فارْدُدْ علىَّ جوارى علانية ، كما أجرتك علانية . فانطلقا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد علىَّ جوارى . فقال عثمان : صدق ، قد وجدته وفيًّا كريم الجوار ، ولكنى قد أحببت ألاَّ أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره .

وهكذا أبت نفس عثمان إلا أن يناله من الأذى ما ينال أولئك الشبان ، لأن هذا الدين قد جعلهم كجسد واحد ، فإذا تألم منه عضو تألم له سائر الأعضاء ، فلم يهنأ له أن يعيش آمناً فى جوار الوليد بن

المغيرة ، وهو يراهم فى خوف وعذاب ، وآثر أن يرد عليه جواره ، ليشاركهم آلامهم ، ويُعَذَّب فى إسلامه مثلهم .

ومما لقيه عثمان من أذى قومه أنه جلس معهم يوما ولبيد بن ربيعة ينشدهم من شعره ، فقال لبيد :

أَلَا كُلُّ شىءٍ ما خلا اللهَ باطلُ

فقال عثمان : صدقت

فقال لبيد :

وكُلُّ نعيم لا مَحَالةَ زائلُ

فقال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول

فقال لبيد : يامعشر قريش ، والله ما كان يؤذى جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم ؟

فقام رجل من القوم فلطم عين عثمان فخضرها ، وقد رأى الوليد ابن المغيرة ما فعل بعثمان فقال له : أما والله يا ابن أخى إن كانت عينك عما أصابها لغَنِيَّة ، لقد كنت فى ذِمَّة منيعة . فقال عثمان : بَلْ والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها فى الله ، وإنى لفى جوار من هو أعزُّ منك وأقدرُ يا أبا عبد شمس .

وقد أقام عثمان وإخوته بمكة إلى أن هاجر هو وإخوته إلى المدينة، وقد نالوا قبل هذا شرف الهجرة إلى الحبشة .

جهادهم في الاسلام : شهد عثمان بن مظعون غزوة بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم مات بعدها فى السنة الثانية من الهجرة ، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين .

وشهد عبد الله بن مظعون غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، ومات سنة ثلاثين من الهجرة .

وشهد قدامة بن مظعون غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، واستعمله عمر بن الخطاب على البحرين ، وكان خال ابنته حفصة وابنه عبد الله ، وزوج أخته صَفِيَّة بنت الخطاب ، وقد مات سنة ست وثلاثين من الهجرة ، وقيل سنة ست وخمسين منها ، وكان سنُّه عند وفاته ثمانى وستين سنة .

وشهد السائب بن مظعون غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاهد معه كما جاهد إخوته .

وشهد السائب بن عثمان بن مظعون غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد استعمله على المدينة حينما خرج إلى غزوة بُوَاط ، ثم شهد اليمامة فى صدر خلافة أبى بكر ، ففاز بالشهادة فيها وهو ابن بِضْع وثلاثين سنة .

أبو سلمة بن عبد الأسد

نسبه : هو أبو سَلَمَةَ عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومىُّ ، من مخزوم بن يَقَظَةَ بن مُرَّة بن كعب ، فهو يجتمع فى مرة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وأمه بَرَّة بنت عبد المطلب .

سنه عند إسلامه : أسلم أبو سلمة فى حدود الثلاثين من عمره ، وكان أخا النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع ، وأخا عمه حمزة ابن عبد المطلب من الرضاع أيضا ، أرضعت الثلاثة ثُوَيْبَة مولاة أبى لَهَبٍ ، وأبو سلمة آخرهم رضاعا ، وكان إسلام أبى سلمة بعد عشرة من أولئك الشبان ، وقد أسلم هو والأرقم بن أبى الأرقم وعُبَيدة ابن الحارث وعثمان بن مظعون فى وقت واحد ، وأسلمت معه امرأته أم سلمة .

تعذيبه فى إسلامه : أُوذِىَ أبو سلمة فى إسلامه فيمن أوذى من أولئك الشبان ، وقد هاجر إلى الحبشة فيمن هاجر منهم إليها ، ولكنه لم يمكث فيها إلا قليلا ، ثم عاد إلى مكة فدخلها فى جوار خاله أبى طالب ابن عبد المطلب ، فأتى إليه قومه بنو مخزوم ليأخذوه منه ، ويفتنوه فى

دينه ، فأبى أن يسلِّمه لهم ، فقالوا له : يا أبا طالب ، منعت منا ابن أخيك ، أتمنع منا ابن أختك ؟ فقال لهم : نعم ، أمنع ابن أختى . فلما أكثروا عليه قام أخوه أبو لهب فقال : يامعشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ — يعنى أبا طالب — ما تزالون تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله لتنتهُنَّ عنه أو لنقومنَّ معه فى كل ما قام به ، حتى يبلغ ما أراد . فقالوا له : بل ننصرف عما تكره يا أبا عُتْبَة . ولم يقدروا على إغضابه ، لأنه كان لهم واليا وناصرا على النبى صلى الله عليه وسلم .

وكان أبو سلمة أول من هاجر من أولئك الشبان إلى المدينة ، فقد هاجر إليها حين بلغه إسلام أهلها ، وكان هذا قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة ، ولما أراد الهجرة رحل بعيره وحمل عليه أم سلَمَة وابنها سلمة ، ثم خرج يقود البعير إلى المدينة ، فاعترضه رجال من قومها وقالوا له : يا أبا سلمة ، غلبتنا على نفسك ، فصاحبتنا هذه كيف نتركك تسير بها فى البلاد ؟ ثم نزعوا خِطام البعير منه ، وتركوه يذهب وحده ، فهاجر إلى المدينة يقاسى ألم اغترابه ، ويقاسى ألم فراق زوجه ، ويقاسى ألم فراق ابنه ، إلى أن لحقا به بعد مدة إلى المدينة .

جهاده فى الإسلام : شهد أبو سلمة غزوة بدر مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم شهد بعدها غزوة أُحُدٍ ، وقد ثبت فيها مع النبى صلى الله

عليه وسلم ، ولم ينهزم فيها كما انهزم غيره ، وقد أصيب فيها بجرح فعالجه حتى برىء منه ، ثم بعثه النبي صلى الله عليه وسلم فى السنة الرابعة من الهجرة فى سَرِيَّة إلى بنى أسَدٍ ، فانتقض جرحه فيها ، فمات به فى جُمادى الآخرة من هذه السنة .

وقد ترك أبو سلمة أربعة صِبْيَة صغار ، وهم سلمة وعمر وزينب ودُرَّة ، فكفلهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم تزوجَ امرأته أم سلمة ، فجبر خاطرها فى فقد زوجها ، وساعدها فى تربية أولادها .

عبد الرحمان بن عوف

نسبه : هو عبد الرحمان بن عَوْف بن عبد عوف الزُّهْرِىُّ ، من زُهْرَة بن كلاب بن مُرَّه ، فهو يجتمع فى كلاب بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو ، فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الرحمان .

سنه عند إسلامه : أسلم عبد الرحمان بن عوف وهو فى حدود الثلاثين سنة ، وهو من الثمانية الذين سبقوا أولئك الشبان إلى الإسلام ، فيكون إسلامه قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ابن أبى الأرقم .

تعذيبه فى إسلامه : كان عبد الرحمان بن عوف ممن أُوذِىَ فى إسلامه من أولئك الشبان ، وقد هاجر فيمن هاجر منهم إلى الحبشة ، فأقام بها قليلا ثم عاد إلى مكة فأقام بها ، واحتمل فيها من الأذى ما احتمله إلى أن هاجر منها إلى المدينة ، فحاز شرف الهجرة إليها ، كما حاز شرف الهجرة قبلها إلى الحبشة .

جهاده فى الاسلام : كان عبد الرحمان بن عوف من العشرة الذين

كان النبى صلى الله عليه وسلم يقربهم إليه ، فيستشيرهم فى أمور سلمه وحربه ، ويعتمد على رأيهم فيما يحتاج إلى الرأى من أحوال دنياه ، وقد شهد عبد الرحمان جميع غزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان ممن ثبت معه فى غزوة أُحُدٍ ، ولم ينهزم فيها كما انهزم غيره ، وقد قاتل فيها حتى أصيب فمه فهتم ، وجرح إحدى وعشرين جراحة ، وأصيب فى رجله فكان يعرج منها .

وكانت له مواقف فى الجهاد بالمال أروع من مواقفه فى الجهاد بالسيف ، لأنه أثْرَى فى المدينة وكثر ماله ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد آخى بينه وبين سعد بن الربيع من أهل المدينة حينما هاجر إليها ، فقال له سعد : إن لى مالا فهو بينى وبينك شِطْرَان ، ولى امرأتان فانظر أيَّهما أحببت حتى أخلعها . فقال له عبد الرحمان : لاحاجة لى فى أهلك ومالك ، بارك الله لك فيهما ، دُلَّنِى على السوق . فدله سعد على السوق فتاجر فيها حتى جمع ثروة عظيمة ، وكان يبذل منها فى الجهاد والصدقة مايدل على كرم نفسه ، وعظيم حبه لدينه وأهله ، وقد بذل فى غزوة تبُوك مائة أوْقِيَّةٍ من الذهب ، وكانت فى وقت ضيق وشدة ، وتصدق على عهد النبى صلى الله عليه وسلم بِشِطْرِ ماله ، فبلغ أربعة آلاف ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على خمسمائة

فرس وخمسمائة راحلة فى سبيل الله ، وقدم له مرة سبعمائة بعير تحمل البُرَّ والدقيق والطعام ، فلما دخلت المدينة سمع لأهلها رَجَّة ، فتصدق بها وبما تحمله فى سبيل الله ، وقد أوصى بخمسين ألف دينار فى سبيل الله ، ولمن يبقى ممن شهد بدرا لكل رجل أربعمائة دينار ، فكانوا مائة رجل .

وقد خلف بعد هذا كله مالا عظيما ، حتى إن ما تركه من الذهب قطع بالفؤوس ، حتى مجلتْ منه أيدى الرجال[1] وكان له أربع نسوة صولحت واحدة منهن على ثمانين ألفا ، ولعل فى هذا عبرة لمن يؤثرون الفقر على الغنى من المسلمين فى عصرنا ، حتى أصبحنا أقل الأمم مالا ، وأشدهم فقرا ، وصرنا إلى هذا الضعف الذى أطمع فينا أكثر خلق الله ضعفا ، وأقلهم عددا ورجالا .

وكان عبد الرحمان هو الذى يقوم بمصالح أمهات المؤمنين بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان يخرج بهنَّ فى حاجاتهنَّ ، وكان يحجُّ معهن ، ويجعل على هوادجهنَّ الطيالسة ، وينزل بهنَّ فى الشِّعب الذى ليس له منفذ ، وتلك مفخرة كبيرة تدل على مبلغ ثقة أمهات المؤمنين به .

---

(١) مجلت اليد نفطت ، والمجلة قشرة رقيقة يجتمع فيها ماء من أثر العمل الشاق أو النار .

وقد أدرك عبد الرحمان خلافة أبى بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان ، فكانوا يستشيرونه فى أمور خلافتهم ، ويرجعون فيها إلى رأيه ، وقد جعله عمر فى الستة الذين جعل الخلافة بعده فيهم ، فلما وجد أن كل واحد منهم يطمع فيها ضرب لهم مثلا كريما فى التعفف عنها ، فخلع نفسه منها على أن يكون له حق اختيار أحدهم لها ، ثم أخذ يتعرف رأى الناس فى كل واحد منهم ، فرأى أكثرهم يميل إلى عثمان بن عفَّان ، فبايعه بها بعد أن عاهده على أن يسير فيها سيرة أبى بكر وعمر ، فلا يؤثر بها أحدا من قرابته بعده ، ولو أن غيره وقف موقفه من هذا المنصب لما كانت تلك الفتن التى فرقت كلمة المسلمين ، وألقت العداوة والبغضاء بينهم .

وكانت وفاة عبد الرحمان فى خلافة عثمان سنة إحدى وثلاثين من الهجرة ، وقيل سنة ثنتين وثلاثين منها ، وكانت سنُّه عندَ وفاته ثنتين وسبعين سنة ، وقيل خمس وسبعون ، وقيل ثمان وسبعون .

عمار بن ياسر

نسبه : هو عَمَّار بن ياسِر بن عامر العَنْسِيُّ ، ينسب إلى بنى عَنْسٍ من اليمن ، وكان أبوه قدم مكة فى طلب أخ له فأقام بها ، وحالف أبا حُذَيفة بن المُغيرة المخزومىَّ ، وتزوج أمَةً له تسمى سُمَيَّة ، وهى أم عمار .

سنه عند إسلامه : أسلم عمار وهو فيما بين الثلاثين والأربعين ، وقد أسلم هو وصُهَيب الرومى فى وقت واحد ، وذلك أن عمارا ذهب إلى دار الأرقم بن أبى الأرقم فوجد صهيبا على بابها ، فقال له عمار : ما تريد ؟ فقال له صهيب : وما تريد أنت ؟ فقال عمار : أريد أن أدخل على محمد فأسمع كلامه . فقال صهيب : وأنا أريد ذلك . فدخلا معاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وأسلما معاً ، وكان قد سبقهما إلى الإسلام بضع وثلاثون من أولئك الشبان ، ويُعَدُّ عمار فى سبعة كانوا أول من أظهر إسلامه بمكة من أولئك الشبان .

تعذيبه فى إسلامه : أسلم بعد عمار أبوه ياسر ، وأمه سُمَيَّة ، وأخوه عبد الله ، فكبر على أبى حذيفة وقومه بنى مخزوم أن يخرجوا عليهم

إلى ذلك الدين الجديد ، ولم يرحموا غربتهم بينهم ، ولم يرعَوْا جوارهم فيهم ، فأخذ أبو جهل يغرى بهم قريشا ، وكان إذا سمع بالرجل قد أسلم وله شرف ومنَعَة أنَّبه وخزَّاه ، وقال له : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنُسَفِّهَنَّ حلُمك ، ولَنُفَيِّلَنَّ رأيك ، ولَنَضَعَنَّ شرفك . وإن كان تاجرا قال له : والله لَنُكْسِدَنَّ تجارتك ، ولَنُهْلِكَنَّ مالك . وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به .

فكانوا يعذبون عمارا بالنار فى رأسه وظهره ، حتى برص ظهره وصار أبيض من أثر النار ، وكذلك كانوا يعذبون أباه ياسرًا ، وأمه سمية ، وأخاه عبد الله ، وقد مَرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بهم وهم يعذبون بالأبطح فى رمضاء مكة ، فقال لهم : صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة .

وما زالوا يعذبون ياسرا حتى مات من العذاب ، وكذلك زوجه سمية ، وابنه عبد الله ، وقد أخذ أبو جهل يوما سمية فقال لها : ما آمنت بمحمد حتى عشقته لجماله . ثم طعنها فى قلبها فماتت ، فقبَّحه الله وأخزاه ، ما كان أقسى قلبه ، وما كان أغلظ كبده .

وقد أخذوا عمارا يوما فعذبوه وأكرهوه على أن يَسُبَّ النبى صلى الله عليه وسلم ، ويذكر آلهتهم بخير ، فلما تركوه أخذ يبكى على ما حصل منه ، وأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكى ، فقال له : ماوراءك ؟

فقال : شر يارسول الله . وأخبره بما حصل منه من سبه وثنائه على آلهتهم ، فقال له : كيف تجد قلبك ؟ فقال : مطمئنًّا بالإيمان . فقال له : فإن عادوا لك فعُدْ لهم . فأجاز النبي صلى الله عليه وسلم له أن يقول ما يكرهونه عليه ؛ لأن الإيمان بالقلب لا باللسان .

جهاده في الإسلام: شهد عمار جميع غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم شهد اليمامة في خلافة أبي بكر ، فأبلى فيها بلاء حسنا ، وقد فرَّ بعض المسلمين من شدتها ، فعلا صخرة وجعل يصيح : يامعشر المسلمين ، أمِنَ الجنة تفرُّون ، إليَّ إليَّ ، أنا عمار بن ياسر ، هلُمُّوا إليَّ . وكان يصيح بهذا وأُذُنُه مقطوعة تتذبذب من شدة ما قاتل .

ولما وَلِيَ عمر الخلافة وَلَّى عمارا على الكوفة ، فشكا منه أهلها إلى عمر ، وقالوا له في شكاياتهم : إنه غير كافٍ وعالمٍ بالسياسة . وكان رحمه الله رجل حرب وجهاد ، ولم يكن رجل ولاية وحكم ، فأجابهم عمر إلى عزله ، فلما رجع إلى المدينة قال له عمر : أساءك العزل ياعمار ؟ فقال : والله ماسَرَّني حين استُعْمِلت ، ولقد ساءني حين عُزِلت . فقال له عمر : قد علمت ما إنك صاحب عمل ، ولكني تأوَّلت (ونريدُ أنْ نَمُنَّ على الَّذينَ استُضْعِفُوا في الأرضِ ونجعلهمْ أئمَّةً ونجعلهمُ الوارثينَ) —٥— من سورة القَصص .

بينه و بين عثمان ومعاوية : كان عمار من زعماء الثائرين على عثمان في آخر خلافته ، وكان خيرا له أن يعتزل تلك الفتنة ، كما اعتزلها غيره من كبار الصحابة ، ولا سِيَّما أنه كان يعرف من ماضى عثمان في الجهاد ما لا يعرفه غيره من الثائرين عليه ، وكان يعرف أن عثمان كان زميله في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وزميله فيما لقوا من عذاب قريش واضطهادها ، وزميله في الهجرة والجهاد حين شرع الجهاد .

ولكن عثمان هو الذى جرَّه إلى الثورة عليه ، لأنه أرسله فيمن أرسله إلى الأمصار ليبحث في شكواها ، ولم يكن عمار ممن يحسن القيام بهذا العمل ، لما سبق من رأى عمر في قدرته على الاشتغال بالسياسة والولاية ، وكان عثمان قد اختار له مصر ، فسافر إليها ليبحث في شكواها ، فلقيه فيها عبد الله بن سَبَأ اليهودى ، وكان هو الذى أثار تلك الفتنة على عثمان ، وحَرَّض عليه أمصار المسلمين ، وكان يظهر الإسلام ليكيد له ، ويسعى في تفريق كلمة أهله ، فلما لقى عمارا لم يزل به حتى أثاره على عثمان ، وجعله يصدِّق ما يظهره من الغيرة على الدين ، ولو أن عثمان لم يرسله إلى مصر ما وقع في حبالة ذلك اليهودى الخبيث .

وقد انضم عمار إلى علىّ في خلافته بعد قتل عثمان ، فحارب معه طلحة والزُّبَير وعائشة في وقعة الجمل ، ثم حارب معه معاوية بن أبى سفيان ،

وقد قتل فى وقعة صِفِّينَ سنة سبع وثلاثين من الهجرة ، وقيل إن سنه كان عند وفاته ثلاثا وتسعين سنة ، والظاهر أنه كان دون هذا السن ، لأن من يكون فى هذا السن لا يقوى على الاشتغال بتلك الفتن ، وقد أسلم أبوه وأمه فى حال قدرة وقوة ، ولم يتزوج أبوه أمه إلا بعد أن هاجر من اليمن إلى مكة ، وكان رجلا فى حدود الثلاثين على الأقل ، فيكون إسلام عمار فيما بين الثلاثين والأربعين من عمره كما سبق ، ويكون سِنّه حين قتل فى حدود الثمانين سنة .

أبو بكر الصديق

نســبه : هو عبد الله بن عثمان بن عامر التَّيْمِيُّ ، من تَيْم بن مُرَّةَ ابن كعب ، فهو يجتمع فى مرة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى أيضاً عَتِيقاً لجماله ، وكُنْيته أبو بكر ، ولقبه الصِّدِّيق .

سنه عنــد إسلامه : أسلم أبو بكر وهو ابن ست أو سبع وثلاثين سنة ، وهو عند كثير من الرواة أول من أسلم من أولئك الشبان ، وكان أبو بكر رجلا مؤلَّفاً لقومه محبَّباً سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بما كان منها من خير أو شر ، وكان تاجراً ذا خُلُق ومعروف ، فكانوا يألفونه لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته ، وكان إليه الأشناق فى قريش — وهى الدِّيَات — فإذا احتمل شيئاً أمضوا حمالته ، وإن احتمل غيره خذلوه .

فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم كان أول من آمن به ، ولم يؤثر فيه ما كان له من تلك المنزلة بين قومه ، وكان لسهولة خلقه وعلمه أثرهما فى سرعة إسلامه ، وقد أخذ بعد إسلامه يدعو من يألفه إلى الإسلام ،

فأسلم بدعوته عثمان وطلحة والزُّبَير وسعد بن أبى وقَّاص وعبد الرحمان ابن عَوْف من أولئك الشبان .

تعذيبه فى إسلامه : كان أبو بكر وطلحة من تَيْمٍ ، وكان لطلحة أخ أكبر منه ، فأخذهما وشدهما بحبل ، وأحكم وثاقهما ، فلم يؤثر هذا فيهما ، وأصَرَّا على دينهما ، فتركهما حين أيس منهما ، ولكن قريشاً لم تترك أبا بكر ، لأنها تعلم أنه أقوى أولئك الشبان فى الدعوة إلى الإسلام ، فأخذت تؤذيه وتضيِّق عليه ، حتى خرج من مكة ليلحق بمن هاجر إلى الحبشة من أولئك الشبان ، فسار خمسة أيام حتى وصل إلى بَرْكِ الغِمَاد[1] فلقيه ابنُ الدُّغُنَّة سيد القَارَة[2] فقال له : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال : أخرجنى قومى ، فأريد أن أسيح فى الأرض ، وأعبد ربى . فقال له ابن الدغنة : مثلك يا أبا بكر لا يخرج ، فارجع اعبد ربك ببلدك ، وأنا لك جار .

فرجع أبو بكر إلى مكة ومعه ابن الدغنة ، فطاف على أشراف قريش ولامهم على إخراجه ، وأخبرهم بأنه أدخله فى جواره ، فطلبوا منه أن يعبد ربه فى داره ، ويقرأ فيها ما شاء ، ولا يستعلن بذلك لِئَلَّا

---

(١) موضع بناحية اليمن .
(٢) هم الأحابيش ، وكانوا حلفاء قريش .

يفتن شبابهم ، فرضى أبو بكر أن يعبد ربه فى داره ، ثم بنى مسجداً بفنائها ، فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن ، فإذا سمعه شبان قريش انقذفوا عليه ، فخافت قريش على أبنائها منه ، وأرسلت إلى ابن الدغنة تشكوه له ، فقدم ابن الدغنة إلى مكة ، فقالوا له : إنا كنا قد أجرنا أبا بكر بجوارك ، على أن يعبد ربه فى داره ، ولكنه ابتنى له مسجداً ، وأعلن بصلاته ، ويوشك أن يفتن كل شباننا ، فإن أحبَّ أن يرجع إلى ما كان عليه ويهدم مسجده فعل ، وإلاَّ فَسَلْهُ أن يرد عليك ذِمَّتك . فأتى ابن الدغنة أبا بكر وطلب منه أن يعود إلى ما عاقد قريشاً عليه ، أو يَرُدَّ عليه ذمته ، فقال له أبو بكر : فإنى أَرُدُّ عليك جوارك ، وأرضى بجوار الله .

فرجعت قريش تؤذى أبا بكر كما كانت تؤذيه قبل أن يدخل فى جوار ابن الدغنة ، فصبر على إيذائها له ، وأقام بمكة يتحمل أذاها ، فلما شاع الإسلام فى أهل المدينة أراد أن يهاجر إليها ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لا تعجل ، لعلَّ الله يجعل لك صاحباً . وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد عزم على الهجرة إلى المدينة ، فأراد أن يأخذ أبا بكر معه فى هجرته إليها ، فلما هاجر إليها أخذه معه ، فحاز بهذا شرف صحبته له فى هجرته .

جهاده فى الإسلام : كان أبو بكر أقرب أولئك الشبان من مجلس النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد غزواته كلها ، وكان يقف فى القتال بجواره ليشاركه فى الإشراف عليه ، لأنه كان لصاحب رأى وعلم ، وللرأى فضله فى الجهاد ، وأثره العظيم فى كسب الحرب .

وقد جاهد أبو بكر بماله جهاداً أروع من جهاده بسيفه ، فجاهد به فى مكة حين كان يشترى من أسلم فيها من الأرقَّاء ، لينقذهم مما كانوا فيه من البلاء ، وممن اشتراه منهم بِلَال بن رَبَاح ، وعامر بن فُهَيرة ، وأم عُبَيس ، وزِنِّيرَة ، وجارية بنى مؤمل ، وحمامة أم بلال ، وأبو فُكَيهة ، وكان يُعَذَّب فى رمضاء مكة ، فيخرج لسانه من شدة الحر ، وكان أبو بكر يعتق من يشتريه منهم ، فينجيه من عذاب المشركين ، و يذيقه نعيم الحرية ، ولا عمل أشرف من هذا العمل ، ولا غرض أنبل من هذا الغرض .

وقد جاهد فى المدينة بماله حين شرع الجهاد ، وكان يملك أربعين ألفاً فأنفقها كلها فى سبيل الله ، حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم : ما نفعنى مال قَطُّ ما نفعنى مال أبى بكر . فلما سمع أبو بكر هذا منه بكى وقال : وهل أنا ومالى يارسول الله إلا لك .

خلافتـه : تولى أبو بكر الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يَكَدْ يتولاها حتى ارتد كثير من العرب عن الإسلام ، وامتنع بعضهم عن دفع الزكاة ، وقالوا : لا نعطيها لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، فاضطرب المهاجرون والأنصار فى أمرهم ، وظهر الضعف فى نفوس كثير منهم ، وأجمعوا كما يقول ابن مسعود على أن يتركوا العرب ، ولا يقاتلوهم على ابنة مَخَاض وابن لَبُون ، فخالفهم أبو بكر ، ولم تضعف نفسه كما ضعفت نفوسهم ، بل خرج وحده شاهراً سيفه إلى ذى القصة ، فلحقه علىٌّ فأخذ بزمام راحلته وقال له : إلى أين ياخليفة رسول الله ؟ لا تفجعنا بنفسك ، فوالله لو أُصِبْنا بك لا يكون للإسلام نظام . فرجع أبو بكر بعد أن ضرب لهم أعلى مثل فى الشجاعة ، وجعل نفوسهم تفيض شجاعة وقوة ، فتسابقوا إلى قتال المرتدين ومانعى الزكاة ، وأعادوهم كما كانوا إلى حَظِيرة الإسلام ، ولو ضعف أبو بكر كما ضعفوا لكان لهذا من النتائج ما لا يعلمه إلا الله .

ولما فرغ أبو بكر من قتال المرتدين وما نعى الزكاة وجه جيوشه الى بلاد الفُرْس والرُّوم ، فوجه العرب إلى استرداد ما تملكه هاتان الدولتان من بلادهم ، وكانتا تقتسمان بلاد العرب ، وتستخدمان أبناءها فى حروبهما التى لا تنقطع ، ولا تعود عليهم بأدنى فائدة ، فنهض أبو بكر

بهم إلى حيث يسامون هذين الشعبين الفاتحين ، و يقفون منهما موقف النِّدِّ للنِّدِّ ، بعد أن كانوا يقفون منهما موقف العبد من السيد ، و إذا بهم يسمون عليهما ، فيستردون بلادهم منهما ، و يأخذون فى الاستيلاء على بلادهما .

وكانت خلافة أبى بكر أشبه شئ بعهد النبوة ، فلم يكن فيها شئ من مظاهر التَّرَف ، ولم يتغير فيها حال أبى بكر عما كان عليه قبل الخلافة ، بل كان يخرج إلى السوق ليتجر كما كان يفعل قبل أن يصير خليفة ، ليأكل من كسب يده ، ولا يمد يده إلى مال المسلمين ، ولم يترك التجارة إلا بعد أن رأى المسلمون أن يتركها ، ليتفرغ لتدبير أمورهم، وقد فرضوا له من بيت المال ما يكفيه ، فرضى بستة آلاف درهم فى السنة ، وهى تساوى الآن عشرين ومائة جُنَيْهٍ مِصرى ، وهو مُرَتَّب قليل يأخذه الآن صغار الموظفين بالحكومة المصرية .

وكان أبو بكر يسوى بين المسلمين فى قسمة بيت المال ، فيعطى العبد مثل الحر ، والأنثى مثل الذكر ، والمتأخر فى الإسلام مثل السابق ، وقد قيل له : لِتُقَدِّمْ أهل السبق على منازلهم . فقال : إنما أسلموا لله ، ووجب أجرهم عليه ، يوفيهم ذلك فى الآخرة ، و إنما هذه الدنيا بلاغ .

وقد مات سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة .

فضـائله : كان أبو بكر يتفقد فى الخفاء أحوال رعيته ، ويسهر على مصالحهم ، ويتواضع للضعفاء والفقراء فيهم ، ومن ذلك أن عمر كان يتعاهد عجوزاً عمياء فى بعض حواشى المدينـة من الليل ، فيستقى لها ويقوم بأمرها ، وكان كثيراً ما يأتى فيجد شخصاً قد سبقه إلى ذلك ، فرصده عمر ليعرفه ، فإذا هو أبو بكر خليفة المسلمين ، فقال له عمر : أنت هو لَعَمْرِى .

وقد أتت عائشة أم المؤمنين أبا بكر حين حضرته الوفاة ، فوجدته يعالج سكرات الموت ، فتمثّلت :

لَعَمْرُكَ ما يغنى الثَّراءُ عن الفتى
إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاق بها الصدرُ

فنظر إليها كالغضبان ، ثم قال لها : ليس كذلك ، ولكن جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد . ثم قال : أما إنه منذ وَلِينَا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً ، ولكنا قد أكلنا من جَرِيش طعامهم ، ولبسنا من خَشِنِ ثيابهم ، وليس عندنا من فَئِ المسلمين إلا هذا العبد وهذا البعير وهذه القَطِيفة ، فإذا مت فابعث بالجميع إلى عمر .

فلما مات جمع عمر الأمناء وفتح بيت المال ، فلم يجد فيه شيئاً غير دينار سقط من غِرَارة ، فترحموا على أبي بكر ، لأنه كان ينفق جميع بيت المال على المسلمين ، ولا يدخر شيئاً فيه لهم ، ومثل هذا يراه بعض علماء الاقتصاد في عصرنا ، وهم الذين يرون أنه لا يصح أن يكون هناك مال احتياطي للدولة .

ولأبي بكر فضائل كثيرة لا تحصى ولا تعد ، وقد عهد إلى عمر بالخلافة بعده ، فآثره بها على أبنائه ، وتعفف عنها ولم يطمع فيها ، وضرب بهذا أحسن مثل للمسلمين لو عملوا به .

حمزة بن عبد المطلب

نسبه : هو حمزة بن عبد المُطَّلِب جد النبي صلى الله عليه وسلم، فهو أقرب أولئك الشبان إليه مثل عليّ ، وقد كان أخاه من الرضاع أيضاً

سنه عند إسلامه : أسلم حمزة وهو ابن اثنتين وأربعين سنة ، وكان إسلامه بعد دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وفي آخر من أسلم من أولئك الشبان ، وقد كان حمزة أعزَّ فتى في قريش ، وأشدهم شكيمة ، ومثل هذا يصعب معه ترك المألوف ، والميل إلى الجديد ، ولكن هذا كان السبب في إسلامه بعد أن تأخر به عن غيره ، وذلك أن أبا جهل تطاول يوماً على النبي صلى الله عليه وسلم ، فآذاه وشتمه ، فلم يكلمه ورجع إلى بيته ، وقد رأت هذا مولاة لعبد الله بن جُدْعان ، فأثر فيها أسوأ تأثير ، وغضبت منه أشد غضب ، وكان حمزة يصطاد في الجبل ، فرأت أن تقف له في الطريق لتخبره بما فعل أبو جهل بابن أخيه ، وتثير حَمِيته عليه ، فلما رجع أخبرته بما رأته ، فغضب لغضبها وأخذته الحمية ، وذهب إلى أبي جهل فضربه ضربة شَجَّ بها رأسه ، ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدخل في دينه .

انتهاء الدعوة السرية بإسلامه : ولما أسلم حمزة أعلن إسلامه ليرغم قريشاً به ، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم : أظهر دينك . فلما رأت قريش هذا كفَّتْ بعض أذاها ، وقد أسلم عمر بعد قليل من إسلام حمزة ، فأخذ يلحُّ على النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً فى إظهار دينه ، فأجابهما إلى ما طلبا ، وكان لهما الفضل فى إعلان الإسلام وإظهاره بمكة .

جهاده فى الاسلام : شهد حمزة غزوتى بدر وأُحُدٍ ، وكان بطلاً شجاعاً لا يرهب القتال ، ولا يخاف الموت ، حتى لَقَّبه النبي صلى الله عليه وسلم أسَدَ الله .

وكان حمزة بطل بدر ، لأنه فعل فيها ما لم يفعله غيره ، وقتل من صناديد قريش أكبر عدد قتل فيها ، فهو الذى قتل شَيْبة بن ربيعة ، وعتْبه بن ربيعة ، وطُعَيمة بن عَدِيٍّ ، وغيرهم من صناديد قريش ، وقد روى عن عبد الرحمان بن عوف أنه أسر أُمَيَّةَ بن خَلَف فسأله : من رجل منكم مُعْلَمٌ بريشة نعامة فى صدره ؟ فقال له : ذاك حمزة ابن عبد المُطَّلب . فقال أمية . ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل .

ولم يكن موقف حمزة فى غزوة أُحُدٍ بأقل من موقفه فى غزوة بدر ، فقد ثبت فى العدد القليل الذى ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم ،

واستهان بالموت فى سبيل الدفاع عنه ، حتى قتل من قريش أكثر من ثلاثين رجلاً ، ولكن قدر الله إذا جاء لا يمانع ، وقد أراد أن يعجل بحمزة ليفوز بما أعد له فى آخرته ، فبينما كان يجول هنا وهناك عثر عثرة وقع منها على ظهره ، فانكشف الدرع عن بطنه ، فرآه وَحْشِىٌّ غلام جُبَير ابن مُطْعِم ، فضربه فى بطنه بحربة فى يده ، فبقر بها بطنه ، وحرم المسلمين من جهاده وهم فى أشد حاجة إليه ، فعظم مصابهم فيه ، واشتد ألمهم لقتله .

ولما انتهى القتال خرج النبى صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه فى القتلى ، فوجده ببطن الوادى قد بُقِرَ بطنه عن كبده ، ومَثَّل به المشركون لما فعله بهم فى غزوة بدر ، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم أمام جثته وقال: رحمك الله أىْ عمّ ، فلقد كنت وَصُولاً للرَّحِم ، فَعُولاً للخيرات. ثم قال : ما وقفت موقفاً قَطّ أغيظَ إلىَّ من هذا .

وقد رثاه شعراء المسلمين فيمن رثوه من قتلى أحد ، فقال كعب ابن مالك فى رثائه :

بكتْ عينى وَحقَّ لها بكاها ... وما يغنى البكاء ولا العويلُ
على أسدِ الإلـهِ غداةَ قالوا ... أحمزةُ ذاكُمُ الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً ... هناكَ وقد أُصيب به الرسول

أبا يَعْلَى لكَ الأركانُ هُدَّتْ وأنتَ الماجدُ البَرُّ الوَصُول
عليكَ سلامُ ربِّكَ في جِنانٍ مُخَالِطُها نعيمٌ لا يزول
ألا يا هاشمُ الأخيارُ صبرًا فكلُّ فعالِكم حسنٌ جميلُ
رسولُ اللهِ مُصْطَبِرٌ كريمٌ بأمرِ اللهِ ينطقُ إذ يقول

وقالت أخته صَفِيَّة ترثيه:

أسائلةٌ أصحابَ أُحْدٍ مخافةً بناتُ أبي من أعجمٍ وخبيرِ (١)
فقال الخبيرُ إنَّ حمزةَ قد ثوى وزيرُ رسولِ اللهِ خيرُ وزيرِ
دعاهُ إلٰهُ الحقِّ ذو العرشِ دعوةً إلى جنةٍ يحيا بها وسرورِ
فذلك ما كنَّا نُرَجِّي ونرتجي لحمزةَ يومَ الحشرِ خَيْرَ مصيرِ
فواللهِ لا أنساكَ ما هَبَّتِ الصَّبَا بكاءً وحزنًا مَحْضَرِي ومسيري
على أسدِ اللهِ الذي كان مِدْرَهًا يذودُ عن الإسلامِ كلَّ كفورِ (٢)
فياليتَ شِلْوِي عندَ ذاكَ وأعظُمي لدى أَضْبُعٍ تعتادُني ونسورِ (٣)
أقولُ وقد أعلى النَّعِيَّ عشيرتي جزى اللهُ خيرًا من أخٍ ونصيرِ (٤)

---

(١) الأعجم الذي لا يفصح تريد به الذي لا علم عنده.
(٢) المدره الذي يدافع عن قومه بلسانه وسيفه.
(٣) الشلو البقية.
(٤) النعي النوح.

عبيدة بن الحارث

نسبه : هو عُبَيدة بن الحارث بن المُطَّلِب بن عبد مَنَاف ابن قُصَيّ ، فهو يجتمع فى قصى بالنبى صلى الله عليه وسلم .

سنه عند إسلامه : أسلم عُبَيدة بن الحارث وهو ابن خمسين سنة ، فلم يجاوز سِنّ الشباب إلا قليلا ، وكان إسلامه قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وقد أسلم هو وأبو سَلَمَة ابن عبد الأسد فى يوم واحد ، وكان إسلام أبى سلمة بعد عشرة من أولئك الشبان .

جهاده فى الإسلام : كان عبيدة بن الحارث أول من عقد له لواء فى الإسلام ، فقد أرسله النبى صلى الله عليه وسلم أميرا على ستين أو ثمانين من المهاجرين ، وكان هذا فى السنة الأولى من الهجرة ، فسار حتى بلغ ماء فى الحجاز بأسفل ثَنِيَّة المَرَة ، فلقى جمعا عظيما من قريش ، ولم يحصل بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبى وَقَاص رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمى فى الإسلام .

ثم خرج عبيدة مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر ، فلما

اصطفّ الجيشان خرج من المشركين عُتْبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد ، فطلبوا البراز من المسلمين ، فخرج إليهم ثلاثة فتية من الأنصار ، فقالوا لهم : من أنتم ؟ فقالوا : رهط من الأنصار . فقالوا لهم : مالنا بكم حاجة . ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قم ياعبيدة بن الحارث ، قم يا حمزة ، قم يا عليّ . فقاموا فذهبوا إليهم ، فلما دنوا منهم قالوا لهم : من أنتم ؟ فقال عبيدة : عبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال عليّ : عليّ . فقالوا لهم : نعمْ ، أكفاء كرام. فبارز عبيدةُ عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزةُ شيبة بن ربيعة ، وبارز عليّ الوليد بن عتبة ، فحمل حمزة على شيبة بن ربيعة فقتله ، وحمل عليٌّ على الوليد بن عتبة فقتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، فحمل حمزة وعليٌّ بأسيافهما على عتبة فذفّفا عليه ، واحتملا عبيدة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأفرشه قَدَمَهُ ، فوضع خده عليها ، ثم قال : أمَا والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أنى أحقّ منه بما قال :

كذبتم وبيت الله نُبْزَى محمدًا ... ولمّا نطاعنْ دونه ونناضل [1]

ونُسْلِمه حتى نُصَرَّعَ حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائلِ [2]

---

(١) نبزى نغلب عليه . (٢) الحلائل الزوجات .

ثم مات من طعنته عند رجوعهم من بدر ، ودفن بالصفراء . فقال كعب بن مالك يرثيه :

أيا عينُ جودى ولا تبخلى . بدمعك حقًّا ولا تَنْزُرِى (١)
على سيد هدَّنا هلكُهُ كريم المَشاهد والعنصر
جرىء المُقَدَّم شاكِى السلاح (٢) كريم الثناطيِّب المكسر
عبيدةُ أمسى ولاَ نرتجيه لعُرْفٍ عرانا ولا منكر
وقد كان يحمى غداةَ القتا لَ حاميةَ (٣) الجيش بالمبْتر

(١) مأخوذ من النزر وهو القليل
(٢) شاكى السلاح حاده
(٣) حامية الجيش آخره ، والمبتر السيف القاطع

شهداء المختبأ

هؤلاء شبان المختبأ الأربعون الذين كان منهم أعظم أبطال الاسلام، ممن أسسوا الدولة، ونظموا الملك، وشادوا المدن، وقادوا الجيوش، وخاضوا المعارك، وكسبوا النصر، وهزموا جيوش كسرى وقيصر، وفتحوا بلاد الفرس والروم.

هؤلاء هم شبان المختبأ الأربعون الذين عاشوا كراما، وماتوا كراما، عاشوا للاسلام لا لأنفسهم، وماتوا فى سبيل الاسلام وحده، ولم يمت إلا قليل منهم على فرشهم، فذهبوا شهداء فى سبيل الله، بعد أن بنوا للإسلام مجده، وشادوا له ملكه، وأعلوا فى الخافقين رايته، وأظهروه على الدين كله.

فطعن علىّ بن أبى طالب وهو يصلى بالناس من يد عبد الرحمان ابن ملجم، وهو من الخوارج المتنطعين فى الدين، وليس له أثر يذكر فى الاسلام، وما كان له أن يتسامى إلى مقام علىّ.

وقتل الزبير بن العوّام غيلة، قتله عمرو بن جرموز وهو مستقبل للصلاة، ولم يكن عمرو من رجاله، وما كان له أن يتسامى إلى مقامه.

وقتل طلحة بن عُبَيد الله فى وقعه الجمل . قتله مروان بن الحكم غيْلة أيضاً ، وتنكر لماضيه فى الاسلام ، وجهاده أعداء الدين .

وقتل مسعود بن ربيعة فى غزوة خَيْبر ، فذهب فيها شهيدا ، وقيل إنه عاش حتى أدرك خلافة عثمان .

وقتل جعفر بن أبى طالب فى سَرِيَّة مُؤْتَة ، فذهب فيها شهيدا ، وقتل فى سبيل الله تعالى .

وقتل زيد بن حارثة فى فى سرية مؤتة . فذهب فيها شهيدا ، وقد قتل فيها قبل جعفر بن أبى طالب .

وقتل عثمان بن عفان وهو محصور فى داره يقرأ القرآن ، ولم يكن لقاتليه ماض يذكر فى الاسلام ، وما كان لهم أن يتساموا إلى مثل مقام عثمان .

وقتل طُلَيْب بن عُمَير فى وقعة أجنادين ، فذهب فيها شهيدا ، وكانت بين المسلمين والرُّوم .

وقتل عامر بن فُهَيرة ببئر مَعُونة ، قتله عامر بن الطُّفَيل غدراً ، وكان من القُرَّاء الذين فازوا بالشهادة فى تلك الموقعة .

وقتل مصعب بن عمير فى غزوة أحد ، وقد قصد ابن قمئة النبى صلى الله عليه وسلم ليقتله ، فقام دونه ، وفداه بنفسه .

وقتل عبد الله بن جحش فى غزوة أُحُدٍ ، وكان ممن ثبت فيها مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وطعن عمر بن الخطاب وهو يصلى بالناس، طعنه أبو لؤلؤة الفارسى ، لأنه هو الذى قضى على دولة الفُرْس .

ومات أبو عُبَيدة بن الجَرَّاح بالطَّاعون فى الشام ، وكان يجاهد فيه جيوش الروم ، فذهب شهيد ذلك الطاعون .

وقتل أبو حُذَيفة بن عتْبة فى وقعة اليمامة ، فذهب فيها شهيداً ، وكانت بين المسلمين ومن ارتد من العرب بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم .

وقتل خالد بن سعيد وأخوه عمرو وهما يجاهدان فى فتح الشام ، وكان قتلهما يوم مَرْج الصُّفَّر عند دمشق ، وقيل إن عمراً قتل بأجْنَادِينَ .

وقتل عَيَّاش بن أبى ربيعة فى الشام حين كان يجاهد فى فتحها ، وقيل إنه مات شهيداً باليمامة فى خلافة أبى بكر .

وقتل نُعَيم بن عبد الله فى وقعة اليَرْمُوك بالشام ، وقيل إنه قتل يوم أجْنَادِينَ ، وقيل إنه قتل يوم مُؤْتة مع زيد بن حارثة .

وقتل السائب بن عثمان بن مظعون يوم اليمامة ، ففاز بالشهادة فيها وهو ابن بضع وثلاثين سنة .

وقتل أبو سَلَمَةَ بن عبد الأسَدِ بجرح أصابه في غزوة أحُدٍ ، وكان قد برئ ثم انتقض بعد برئه فمات منه ، وفاز بالشهادة فيمن فاز بها من أولئك الشبان .

وقتل عَمَّار بن يَاسِرٍ في وقعة صِفِّينَ ، وكانت بين عليٍّ ومعاوية ، فمات مقاتلا كمن مات مقاتلا من أولئك الشبان .

وقتل حمزة بن عبد المُطَّلب في غزوة أُحُد ، قتله وحْشِيٌّ غلام جُبَير بن مُطْعم ، وفاز بالشهادة مع من فاز في تلك الغزوة .

وقتل عُبَيْـدة بن الحارث في غزوة بدر ، وقد تبادل هو وعتْبة بن ربيعة طعنتين ، فأدركه حمزة وعليٌّ فذَفَّفا على عتبة ، واحتملا عبيدة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ففاز بالشهادة وهم راجعون من بدر .

فأولئك ثلاثة وعشرون من أولئك الشبان فازوا بالشهادة في سبيل الإسلام ، وضحوا بأرواحهم في ميدان القتال ، ولم يموتوا على فُرُشهم كما يموت غيرهم ممن يعيش لدنياه ، ولا يهمه فيها إلا أمر نفسه ، فلا يخاطر بها في مواطن الهلاك ، ولا يجود بها في سبيل ما يرى أنه حق ، لأنه لا يرى إلا أن يحافظ عليها ، لتتمتع بما يهمه من أمر الدنيا ، وتنال حظها من النعيم فيها .

ثلاثة وعشرون يذهبون شهداء من الأولئك الأربعين شابًّا ، إنها لنسبة كبيرة تدل على أنهم كانوا كلهم يحرصون على هذه الشهادة ،

ليفوزوا بأجر الشهداء ، وتخلد ذكراهم فى الدنيا والآخرة ، فإذا كان بعضهم لم ينل ما طلبه من تلك الشهادة ، فإنه ليُعَدُّ من الشهداء أيضاً ، لأنه قضى حياته فى الجهاد ، وباع نفسه فى سبيل الله تعالى ، فإذا لم يُقَدَّرَ له الموت فى هذا السبيل ، فإن هذا لا يكون من حرصه على نفسه ، وإنما يكون من شىء خارج عن إرادته ، وهو قضاء الله تعالى ، وإرادته أن يموت على فراشه ، ولا يموت فى السبيل الذى باع فيه نفسه .

فَلِلّهِ أنتم أيها الشبان الشهداء ، ولله نفوسكم الطاهرة ، وقلوبكم العامرة بالإيمان ، وما أجدرنا أن نرعى لكم تلك الدماء التى بذلتموها من أجل سعادتنا ، وأن نتواضع لتلك التضحيات التى قدمتموها لرفعتنا ، وأن ننسى فيها ما كان لبعضكم من هِنَات تتضاءل أمام جهادكم ، وألاَّ نرفعَ رؤوسنا بها تعالياً عليكم ، ونحن لا نصل إلى مراتبكم فى الجهاد ، ولا ماضى لنا كماضيكم فى نصرة الإسلام ، ومن ذا الذى لا يؤخذ عليه شىء ؟ والعصمة لله وحده .



شابات قريش

في العهد السري للاسلام

خديجة بنت خويلد

نسبها : هي أم المؤمنين خديجة بنت خُوَيْلِد بن أسَد بن عبد العُزّى ابن قُصَيٍّ بن كلاب ، فهى تجتمع فى قصى بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وتنتسب إلى أسد بن عبد العزى ، وقد تزوجت النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وكانت تقرب من أربعين سنة ، وقد تزوجها قبله أبو هَالَة بن زُرَارة ، وله ولد منها يسمى هالة ، وترك لها ثروة عظيمة بمكة ، فرغبت فى زواج النبى صلى الله عليه وسلم ، لِما رأت فيه من الأمانة ، وكانت قد بعثته فى تجارة لها إلى الشام ، فربح لها ربحا عظيما.

إسلامها : فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم كانت خديجة أول من آمن به ، فكانت له أقوى عَضُد ، وأكبر نصير ومساعد ، وكان لا يسمع شيئا يكرهه من قريش فرجع إليها إلا ثَبَّتَتْه ، وهَوَّنت عليه ما يلقاه منهم.

وقد دخل عليها بعد أن ظهر جبريل له فى أول مرة بغار حِرَاء ، وفؤاده يرجف مما نزل به من الرَّوْع ، فقال : زَمِّلونى زملونى . فلما

زَمِّلوه وذهب عنه الروع أخبرها بأمره ، ثم قال لها : لقد خشيت على نفسي . وكان يخاف أن يكون ذلك من الشيطان .

فقالت له : كلاّ ، والله مايخزيك الله أبدا ، إنك لتَصِلُ الرَّحِم ، وتحمل الكَلَّ (١) وتَكسِب المعدوم (٢) وتَقْرِي الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فلا يسلط الله عليك الشياطين والأوهام ، ولا مراء أن الله اختارك لهداية قومك .

فنزل كلامها بَرْدًا وسلاما على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، وآمن من رَوْعه ، وزاده سكينة وطمأنينة ، وإنه ليدل على وفور عقلها ، وشدة إخلاصها له ، ووثوقها به .

وقد عاشرته بعد البعثة عشر سنين ، وقيل تسع سنين ، كانت ترعاه فيها بعطفها ، وتعينه على أعدائه من المشركين ، وتضع ما لها بيده ينفق منه على من يحتاج إليه من أولئك الشبان ، حين يطردهم أهلهم من بيوتهم ، فيحتاجون إلى المساعدة ، وقد ولدت له من البنين القاسم وعبدالله ، ومن البنات زينب ورُقَيَّة وأُمّ كُلْثُوم وفاطمة .

ثم ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ، فوجد عليها حتى خُشِي عليه ، وكان لا ينسى ذكرها طول حياته ، حتى قالت عائشة :

(١) الضعيف (٢) الذى لا مال له

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة ، فيحسن الثناء عليها ، فذكرها يوما من الأيام فأخذتني الغيرة ، فقلت : هل كانت إلا عجوزا قد أبدلك الله خيرا منها . فغضب ثم قال : لا ، والله ما أبدلني الله خيرا منها ، آمنتْ بي إذْ كفر الناس ، وصدَّقتني إذ كذَّبني الناس ، وواستني بما لها إذ حرمني الناس ، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء .

قالت عائشة : فقلت في نفسي ، لا أذكرها بعدها بسببه أبدا .

أم أيمن

نسبها : هى أم أَيْمَنَ بَرَكة بنت ثعلبة بن عمرو بن حِصْن ابن مالك بن سَلَمة بن عمرو بن النعمان ، والظاهر من هذا أنها عربية النسب ، ولكن روى الزُّهْرِىُّ أنها كانت حبشية ، وكانت مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهبتها له أخت خديجة زوجه ، وقيل إنها كانت مولاة لأمه آمنة .

وقد أعتقها النبي صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة ، وزوَّجها عبيد بن زيد فولدت له أيمن ، ثم زوجها بعده مولاه زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة ، وكان زواجها بزيد بعد بعثة النبى صلى الله عليه وسلم

إسلامها : أسلمت أم أيمن بعد إسلام خديجة بنت خُوَيْلد ، وقد كانت خديجة أول من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم . وأقامت أم أيمن بمكة تحتمل أذى المشركين إلى أن جاءت الهجرة إلى المدينة ، فخرجت من مكة ماشية إليها ، وليس معها ماء تشربه ، ولا زاد تأكل منه ، وكان عندها قوة عجيبة على احتمال العطش والجوع ، حتى إنها

كانت تصوم فى اليوم الحارّ ، ثم تطوف فى الشمس كى تعطش ، فلا يصيبها عطش .

جهادها فى الإسلام : كانت أم أيمن تحضر غزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، فكانت تسقى الماء ، وتداوى الجرحى ، ومما حضرته من الغزوات غزوة أُحُدٍ ، وغزوة خَيْبَرَ ، وكانا من أهم غزوات النبى صلى الله عليه وسلم .

وهذا إلى أنها كانت من أكثر نساء المهاجرين حظا فى الشهداء من رجالهن ، فقد استشهد زوجها زيد فى سَرِيَّة مُؤْتة ، واستشهد ابنها أيمن فى غزوة حُنَين ، ولم يبق لها إلا ابنها أسامة ، وكان غلاما صغيرا ، فصبَرت على فقد زوجها وابنها ، وتولت تربية ابنها أسامة ، حتى جعلت منه رجلا يقود جيشا فيه مثل أبى بكر وعمر ، وكان آخر جيش أعده النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن أسامة قد جاوز العشرين سنة .

ولما مات النبى صلى الله عليه وسلم كانت أم أيمن تبكيه كلما ذكرته ، ولا ينقطع بكاؤها عليه ، وقد قال أبو بكر لعمر : إنطلق بنا نزور أم أيمن كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها . فلما دخلا عليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ؟ فما عند الله خير لرسوله .

فقالت : أبكى أن وحى السماء انقطع . فَهَيَّجَتْهما على البكاء ، فجعلت تبكى و يبكيان معها .

وليس هناك أسمى من هذه النفس التى تبكى انقطاع الوحى ، وتحزن لفقد الاتصال بالسماء ، فهى لاترى إلا السعادة الروحية التى تصل بيننا وبين الملإِ الأعلى ، وتفيض على أهل الأرض فتسمو بهم إلى موطنها .

وقد ماتت أم أيمن بعد عشرين يوما من خلافة عثمان ، وقيل إنها ماتت بعد خمسة أشهر من موت النبى صلى الله عليه وسلم .

أسماء بنت أبي بكر

نسبها : هي أسماء بنت أبي بكر الصدِّيق، أخت عائشة أم المؤمنين، وزوج الزبير بن العوَّام ، وكانت تلقب ذات النطاقين ، لما سيأتي في سبب تلقيبها به .

إسلامها : أسلمت أسماء وهي فتاة صغيرة ، وقد أسلم زوجها الزبير وهو ابن ثمانيَ سنين ، فيكون إسلامها فيما يقرب من هذا السِّنِّ ، وكان إسلامها بعد سبعة عشر نفساً ، وقد تزوجها الزبير قبل الهجرة إلى المدينة ، فهاجرت إليها وهي حامل بابنها عبد الله ، وكان أول من ولد بالمدينة للمهاجرين ، ففرحوا به فرحاً عظيماً .

ولما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يهاجر إلى المدينة هو وأبوها أبو بكر ، هيأت لهما سُفْرة[1] في الليلة التي عزما على الهجرة فيها ، ثم أرادت أن تشدَّها فلم تجد ما تشدها به ، فأخذت خمارها فَشَقَّته نصفين، فشدت السفرة بنصفه ، واتخذت النصف الآخر نطاقاً ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة . وهذا هو سبب تلقيبها بذات النطاقين .

(١) السفرة طعام المسافر

وقد عاشت أسماء إلى أن قام ابنها عبد الله ينادى بالخلافة لنفسه بعد موت معاوية ، فبايعه أهل الحجاز والعراق وغيرهما من البلاد الإسلامية ، ولم يبق إلا الشام لبنى أُميَّة ، فبقى أمره ظاهراً إلى أن تولى الشام عبد الملك بن مروان ، فأرسل الحَجَّاج بن يوسف الثَّقَفِيّ لحرب عبد الله بمكة ، فحاصره الحجاج فيها ، وقد أخذ أصحاب عبدالله يتفرقون عنه إلى أن بقى وحده .

فلما رأى عبد الله أن أصحابه تفرقوا عنه دخل على أمه أسماء ، وكانت قد عميت من الكبر ، وبلغت نحو مائة سنة ، فقال لها :

يا أُمَّاه ، ما ترين ؟ قد خذلنى الناس ، وخذلنى أهل بيتى .

فقالت له :

يا بُنَىّ ، لا يلعبنَّ بك صبيان بنى أُمَيَّة ، عِشْ كريماً ، ومُتْ كريماً .

فلما سمع عبد الله هذا منها خرج وقاتل حتى قُتِل .

فما كان أشجع هؤلاء النساء ! وما كان أشرف نفوسهن ! وإنه لجدير بنا أن ينجبن أولئك الأبطال الذين بنو للإسلام ذلك الملك الكبير ، وشادوا له ذلك المجد العظيم .

وقد ماتت أسماء بعد ابنها عبد الله بعشرين يوماً .

فاطمة بنت الخطاب

نسبها : هى فاطمة بنت الْخَطَّاب بن نُفَيل الْعَدَوِيَّة ، من عَدِىّ ابن كعب بن لُؤَىّ ، فهى تجتمع فى كعب بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وأخوها عمر بن الخطاب ، وزوجها سعيد بن زيد ، ومن الرواة من يذكرها باسم أُمَيْمَة ، وهو لقبها ، ومنهم من يذكرها باسم أم جميل ، وهو كُنْيَتُها .

إسلامها : أسلمت فاطمة بنت الخطاب مع زوجها سعيد بن زيد ، وهى فتاة دون العشرين سنة ، وكان إسلامهما قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبى الأرقم .

تعذيبها فى إسلامها : أسلمت فاطمة قبل إسلام أخيها عمر ، وكانت تكتم إسلامها عنه ، لأنه كان شديداً على الإسلام قبل أن يسلم ، فلما علم بإسلامها دخل عليها بيتها وقال لها :

يا عَدُوَّة نفسها ، بلغنى أنك صَبَأْتِ .

ثم ضربها ووثب على زوجها سعيد فضرب به الأرض ، وجلس على صدره ، فجاءت فاطمة تمنعه منه ، فلطمها لطمة شَجَّ وجهها فسال دمها ، فلما رأت الدم بكت وقالت له :

أتضربنى يا عدوَّ الله على أن أوَحِّد الله ؟ لقد أسلمنا على رغم أنفك يا ابن الخطاب ، فما كنت فاعلاً فافعل .

فلما رأى عمر الدم يسيل على وجهها ندم على ما فعل ، وأخذ يفكر فى هذا الدين الذى بلغ من أخته و زوجها هذا المبلغ ، وما زال به تفكيره حتى أسلس من قياده ، وأخذ به إلى الإيمان بهذا الدين الذى كان يبالغ فى معارضته ، وكان إسلامه عِزًّا للإسلام ، والفضل فيه لهذا الموقف الكريم الذى وقفته أخته معه ، ولهذه الشجاعة العظيمة التى أظهرتها أمامه .

وقد أقامت فاطمة مع زوجها سعيد بمكة يتحملان من أذى المشركين ما يتحملان ، و يصبران على هذا الأذى صبر الكرام ، إلى أن جاءت الهجرة إلى المدينة ، فهاجرا إليها فيمن هاجر إليها من أولئك الشباب ، وعاشت معهم فيها عيشة كلها جهادفى سبيل الله تعالى ، وتضحية بالنفس والمال فى إعلاء كلمة الاسلام ، لأنهم كانوا جميعاً رجالاً ونساء يعيشون عيشة جهاد ، ولا يهمهم إلا هذا الدين الذى وهبوا حياتهم له .

أسماء بنت عميس

نسبها : هي أسماء بنت عُمَيس بن مَعْدٍ الخَثْعَمِيَّة ، من خَثْعم إحدى القبائل اليمنيَّة ، وكانت زوج جعفر بن أبي طالب ، وأخت ميمونة بنت الحارث لأمها ، وكانت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

إسلامها : أسلمت أسماء بنت عميس وهي فتاة دون العشرين سنة ، وكان إسلامها بعد دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ابن أبي الأرقم .

تعذيبها في إسلامها : كانت أسماء وزوجها جعفر ممن أُوذِىَ من أولئك الشبان بعد إسلامهم ، فهاجرت هي وزوجها فيمن هاجر منهم إلى الحبشة ، وقد آثرت هي وزوجها الغربة بالحبشة على الإقامة بمكة ، فأقاما مع من أقام بها من أولئك الشبان ، ولم يزالا بها إلى أن هاجرا منها إلى المدينة في السنة السابعة من الهجرة .

فلما هاجرت إلى المدينة رأت رجالا من المسلمين يفخرون بهجرتهم قبلها ، فذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم لتشكوهم إليه ، فقالت له : يا رسول الله ، إن رجالا يفخرون علينا ، ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين .

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : لكم هجرتان ، وللناس هجرة واحدة .

ولم تلبث أسماء بالمدينة حتى أصيبت فى زوجها جعفر ، وقد استشهد فى سَرِيَّة مُؤْتَة فى السنة الثامنة من الهجرة ، وقد ترك لها صبية صغاراً لا عائل لهم غيرها ، وكان من عادة أولئك الشبان أنه إذا استشهد واحد منهم قام آخر مكانه فى أولاده ، فيكون أباً لهم بعد أبيهم ، ويخلفه فى تربيتهم والإنفاق عليهم ، فتزوج أبو بكر أسماء بعد وفاة جعفر ، وهى التى ولدت له ابنه محمداً ، ولما مات أبو بكر تزوجها علىّ بعده ، فولدت له ابنه عوناً .

وقد عاشت أسماء إلى أن قتل ابنها محمد بن أبى بكر فى مصر ، وكان علىّ قد أرسله إلى مصر والياً عليها ، فلما بلغها نبأ قتله قامت إلى مسجد بيتها تصلى وتدعو له ، وكظمت حزنها عليه وغيظها من قاتليه ، حتى شَخَبَتْ ثدياها دماً .

وهذه هى الشجاعة التى لا شجاعة بعدها ، ولا غرو فهى قد عاشرت جعفراً وأبا بكر وعليًّا ، ومن يعاشر أمثالهم لا يستغرب أن يكون هذا صبره عند الشدائد ، وأن يكون هذا احتماله عند فقد الولد .

أم سلمة بنت حذيفة

نسبها : هى أم المؤمنين أم سَلَمَة هند بنت حُذَيفة بن الْمُغِيرة المخزومية ، من مخزوم بن يَقَظَة بن مُرَّة بن كعب ، فهى تجتمع فى كعب بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان أبوها حذيفة يُكَنَّى أبا أُمَيَّة ، ويُلَقَّبُ زاد الرَّكْب ، لأنه كان أحد الأجواد ، فكان إذا سافر لا يترك أحداً يرافقه ومعه زاد ، بل يكفى من الزاد رفقته .

إسلامها : أسلمت أم سلمة وهى فتاة فى حدود العشرين من عمرها ، وقد أسلمت مع زوجها أبى سلمة ، وكان إسلامه بعد عشرة من أولئك الشبان .

تعذيبها فى إسلامها : كانت أم سلمة هى وزوجها أبو سلمة ممن عُذِّب فى إسلامه ، فهاجرت إلى الحبشة هى وزوجها ، ولكنها لم تمكث فيها إلا قليلا ، ثم عادت إلى مكة فأقامت بها ، ولما جاءت الهجرة إلى المدينة كان زوجها أول من هاجر إليها ، وقد أراد أن يأخذها معه فمنعها قومه منه ، فهاجر وحده إلى المدينة ، وأتى قومه فنزعوا ابنها سلمة منها ، فبقيت وحدها بمكة ، وقد حيل بينها و بين زوجها وابنها ، فكانت

تخرج كل غداة إلى الأبطح تبكى حتى المساء ، ثم ترجع إلى بيتها ، ولم تزل تفعل ذلك حتى مَرَّ بها رجل من بنى عمها فرثى لها ، وذهب إلى بنى المغيرة فقال لهم : ألا تخرجون من هذه المسكينة ، فَرَّقتم بينها و بين زوجها ، و بين ابنها . فقالوا لها : إلحقى بزوجك إن شئت .

فجهزت نفسها للهجرة إلى المدينة ، ورَدَّ قوم أبى سلمة ابنها إليها ، فخرجت وحدها مهاجرة إلى المدينة ، وليس معها إلا ابنها سلمة ، فلقيها عثمان بن طلحة بالتنعيم ، فقال لها : إلى أين يابنت أبى أُمَيَّة ؟ فقالت له : أريد زوجى بالمدينة . فقال لها : أوَ مَا معك أحد ؟ فقالت له : لا والله إلا الله وابنى هذا . فقال لها : والله ما لك مَتْرَكٌ . فأخذ بخطام بعيرها ، ثم انطلق معها يَهْوِى بها ، وكان إذا بلغ منزلا أناخ بها ثم استأخر عنها ، حتى إذا نزلت عن بعيرها استأخر به فحطَّ عنه ثم قَيَّدَه فى الشجرة ، ثم اضطجع تحتها ، فإذا دنا الرَّواح قام إلى بعيرها فرحله وقَدَّمه إليها ، ثم استأخر عنها حتى تركب ، فإذا ركبت واستوت أتى فأخذ بخطامه ، ولم يزل يصنع هذا بها حتى أقدمها المدينة ، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بِقُبَاء قال لها : زوجك فى هذه القرية ، فادخليها على بركة الله . ثم انصرف راجعاً إلى مكة ، وقد كان فى أولئك المشركين من تغلبه مروءته على دينه .

وقد استشهد زوجها أبو سلمة فى السنة الرابعة من الهجرة ، وترك لها أربعة صِبْية (سلمة وعمر وزينب ودُرَّة) فلما انقضت عدتها خطبها أبو بكر ليعولها ويعول صبيتها ، فلم تجبه إلى خطبته ، فخطبها النبى صلى الله عليه وسلم فأجابته فتزوجها ، وضم إليه أولادها ، وقام بتربيتهم والإنفاق عليهم .

وكانت أم سلمة ذات عقل ورأى وجمال ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستشيرها فى بعض أموره ، لِيَسُنَّ لنا استشارة نسائنا فى أمورنا ، ولا نعمل بقول بعضهم فيهنَّ : شاوروهنَّ وخالفوهنَّ .

وقد ماتت أم سلمة سنة إحدى وستين من الهجرة ، وقيل سنة اثنتين وستين منها ، وقيل سنة ثلاث وستين ، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين .

أسماء بنت سلامة

نسبها : هي أسماء بنت سلامة بن مُخَرِّبة التَّميمية ، وقومها تميم من مضر بن نِزار ، فهي تجتمع في مضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت زوج عَيَّاش بن ربيعة ، ولها عمة تسمى أسماء بنت مخربة ، وبعض الرواة يشتبه عليه الفرق بينهما ، وكانت أسما بنت مخربة أم زوجها عياش ، وأم أبي جهل أعدى أعداء الإسلام .

إسلامها : أسلمت أسماء بنت سلامة وهي فتاة في حدود العشرين من عمرها ، وقد أسلمت مع زوجها عياش ، وقد أسلم عياش قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم ، فيكون إسلامها في ذلك التاريخ أيضاً .

تعذيبها في إسلامها : كانت أسماء بنت سلامة ممن أُوذِيَ في إسلامه من أولئك الشباب ، وقد لقيت من الأذى ما لقيه زوجها عياش من أخيه أبي جهل وغيره من قومه ، فهاجرت هي وزوجها إلى الحبشة فيمن هاجر إليها ، ولكنهما عادا إلى مكة بعد قليل من هجرتهما ، فأقاما بها يتحملان من الأذى ما يتحمله كل من أقام بها من أولئك الشبان .

فلما جاءت الهجرة إلى المدينة هاجرت أسماء هى وزوجها إليها ، فلما علمت أسماء أم عياش بهجرته حلفت ألاَّ يدخلَ رأسها دهن حتى تراه .

فسار أخواه أبو جهل والحارث إلى عياش بالمدينة، واحتالا عليه حتى عادا به إلى مكة ، فحبساه بها ولم يمكناه من العودة إلى المدينة ، فأقامت أسماء زوجه بالمدينة بعيدة عنه ، تتألم لفراقه، وتتألم لسجنه، إلى أن مضت غزوت بدر وأُحُدٍ والخندق ، فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم الوليد بن الوليد بن المغيرة إلى مكة ليحتال فى إخراجه من سجنه ، فاحتال الوليد حتى أخرجه من سجنه وعاد به إلى المدينة ، ففرحت به زوجه وسرت بلقائه، وفرح به النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد ولدت أسماء بنت سلامة لزوجها عياش ابنه عبد الله ، وكان مولده بالحبشة حين هاجرا إليها .

أمينة بنت خلف

نسبها : هي أُمَيْنَةَ بنت خَلَفِ بن أَسْعَدَ ٱلْخُزَاعِيَّةَ ، وقومها خُزَاعة من القبائل اليمنيَّة ، وكانت زوج خالد بن سعيد بن العاص .

إسلامها : أسلمت أمينة بنت خلف وهى فتاة فى حدود العشرين من عمرها ، وقد أسلمت مع زوجها خالد بن سعيد بن العاص ، وقد أسلم خالد بعد اثنين من أولئك الشبان ، فيكون إسلام أمينة فى هذا التاريخ أيضاً .

تعذيبها فى إسلامها : كان سعيد بن العاص من رؤساء بنى أُمَيَّةَ ، وكان بنو أمية يتولون زعامة المعارضين للإسلام ، فَعَزَّ على سعيد إسلام ابنه خالد ، فطرده من بيته هو وزوجه أمينة ، وكان غضب سعيد على زوج ابنه أكثر من غضبه على ابنه ، لأنه كان يتهمها بأنها هى التى زينت له أن يترك دين آبائه ، ويتبع دين الإسلام ، ولهذا كان أَبَانُ ابن سعيد يعير أخاه خالداً وأخاه عمرا بأنهما أطاعا زوجيهما ، فآثرا الإسلام على دين قومهما ، وقد قال فى هذا :

ألاَ ليتَ ميْتاً بالظُّرَيبةِ شاهدُ
لما يفترى فى الدِّينِ عمرٌو وخالدُ (1)
أطاعَا معاً أمر النساء فأصبحاَ
يعينانِ منْ أعدائنا من نُكايد

وقد هاجرت أمينة مع زوجها خالدَ إلى الحبشة فيمن هاجر إليها من أولئك الشبان ، فأقاما بها وآثر الغربة بدينهما على الإقامة بوطنهما ، لأنهما وجدا فيها أمناً ، ولم يحاول أحد فيها أن يفتنهما عن دينهما .

وقد أقاما بالحبشة مع جعفر بن أبى طالب وغيره ممن أقام بالحبشة من أولئكَ الشبان ، وقد ولدت أمينة لخالد فى الحبشة ابنه سعيداً ، وبنته أمَةَ ، وقد هاجر أولئك الشبان جميعاً من الحبشة إلى المدينة فى السنة السابعة من الهجرة .

فحازت أمينة بهذا شرف تلك الهجرة الطويلة إلى الحبشة ، وشرف الهجرة إلى المدينة ، وكان أبوها من أشراف قومها ، وقد زوجها فى بيت من أشرف بيوت قريش ، ولو أنها بقيت على الشرك لعاشت أكرم عيشة فى مكة ، ولتمتعت فيها بشرف أبيها وشرف بيت زوجها ، ولكنها آثرت ذلك الدين القويم ، وكان لها من رضا نفسها به ما يعوضها عما فاتها من تلك الحياة الناعمة فى مكة ، والآخرة خير وأبقى .

(1) الميت أبو سعيد ، وكان قد مات بعد إسلام ابنيه خالد وعمرو .

فاطمة بنت صفوان

نسبها : هى فاطمة بنت صفوان بن أُمَيَّة الكِنَانيَّة ، من كِنانة ابن خُزَيمة بن مُدْرِكة ، فهى تجتمع فى كنانة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت زوج عمرو بن سعيد بن العاص .

إسلامها : أسلمت فاطمة بنت صفوان وهى فتاة فى حدود العشرين من عمرها ، وكان إسلامها مع زوجها عمرو بن سعيد بن العاص ، وقد أسلم زوجها عمرو بعد قليل من إسلام أخيه خالد ، فيكون إسلام فاطمة فى ذلك التاريخ أيضا .

تعذيبها فى إسلامها : لما أسلم عمرو زوج فاطمة طرده أبوه سعيد من بيته كما طرد أخاه خالدا قبله ، وطرد معه زوجه فاطمة ، لأنها أسلمت معه ، وكان يتهمها بأنها هى التى زينت له أن يترك دينه ويتبع دين الإسلام ، فآثرت هى وزوجها أن يعيشا بعيدين عن بيت كانت سعادتهما فيه موفورة ، وهما فى أول عهدهما بالزواج ، وفى حاجة إلى العيش الهنئ فى ذلك الوقت السعيد ، بل فى أسعد وقت من عمرهما ، ولكنهما ذاقا حلاوة الإسلام ، ومن ذاق حلاوة الإسلام آثرها على حلاوة الدنيا كلها .

فأقاما بمكة فى ذلك الشقاء الذى كان يعيش فيه أولئك الشبان ، وهم مطرودون من بيوت آبائهم وأهليهم ، فلما رأوا أن يهاجروا إلى الحبشة فرارا بدينهم من قومهم ، هاجر معهم عمرو بن سعيد وزوجه فاطمة بنت صفوان .

فأقاما بالحبشة غريبين عن وطنهما الذى نشآ فيه ، بعيدين عن أهلهما وقومهما ، لأنهما أمنا فيها على دينهما ، ولم يجدا فيها من يفتنهما كما فتنهما قومهما ، ومثل فاطمة وزوجها يؤثر هذا على طيب الحياة فى مكة ، لأن الدين فيه رضا النفس فى الدنيا والآخرة ، ومتى رضيت النفس لا يهما المكان الذى تجد فيه رضاها ، بل يكون هذا المكان أعزّ عليها من وطنها .

وقد كان لأولئك المهاجرين فى الحبشة شهداء ، وكانت شهادتهم لا تقل روعة عن شهادة إخوانهم ممن هاجر إلى المدينة ، واستشهد فى أُحُدٍ أو غيرها من الغزوات التى نالوا الشهادة فيها ، لأنهم ماتوا مغتربين فى سبيل دينهم ، فشأنهم فى هذا كشأن من مات فى الدفاع عن دينه ، ولا تقل منزلته عن منزلته .

وكانت فاطمة بنت صفوان ممن استشهد فى الحبشة من مهاجريها ، ففازت بأجر الشهادة ، وما أعظم أجرها عند الله تعالى .

ليلى بنت أبى حثمة [1]

نسبها : هى ليلى بنت أبى حَثْمَةَ بن حذَيفة العَدَوِيَّة ، من عَدَىٍّ
ابن كعب بن لُؤَىٍّ ، فهى تجتمع فى كعب بالنبى صلى الله عليه وسلم ،
وكان زوجها عامر بن ربيعة .

إسلامها : أسلمت ليلى وهى فتاة فى حدود العشرين من عمرها ،
وقد أسلمت مع زوجها عامر بعد دخول النبى صلى الله عليه وسلم
دار الأرقم بن أبى الأرقم ، فيكون إسلامها فى ذلك التاريخ أيضا .

تعذيبها فى إسلامها . كانت ليلى ممن عُذِّب فى إسلامه من
أولئك الشباب ، وكذلك كان زوجها عامر بن ربيعة ، وقد هاجرا إلى
الحبشة حينما أرهقهما العذاب ، وضاق العيش عليهما بمكة .

ولما أرادت ليلى الهجرة إلى الحبشة ركبت بعيرها ، واتجهت به
نحو الحبشة ، فجاءها عمر بن الخطاب يسألها عن أمرها ، لأنها من قومه
بنى عدى ، وكان هذا فيما قيل قبل إسلامه .

فقال لها : إلى أين ياأم عبد الله ؟

فقالت له : آذيتمونا فى ديننا ، فنذهب فى أرض الله .

فقال لها : صحبكم الله .

قالت ليلى : فرجوت إسلامه من يومئذ .

وقد مكثت ليلى هى وزوجها قليلا بالحبشة ، ثم عادا إلى مكة فأقاما بها ، واحتملا أذى أهلها فيمن احتمله ممن أقام بها من أولئك الشباب ، فلما جاءت الهجرة إلى المدينة كانت ليلى هى وزوجها عامر فى أول من هاجر إليها ، وقد قيل إنهما كانا أول من هاجر إليها من المسلمين ، وقيل أن أباسَلَمَة وزوجه أم سلمة كانا أول من هاجر إليها ، وإن ليلى وزوجها عامرا كانا أول من هاجر بعدهما .

وبهذا تكون ليلى فى أول من حاز شرف السبق إلى الإسلام ، وفى أول من حاز شرف السبق إلى الهجرة إلى الحبشة ، وفى أول من حاز شرف السبق إلى الهجرة إلى المدينة ، درجات ثلاث لها قيمتها فى الفضل ، ولها ميزتها فى الدنيا والآخرة .

مباحث الكتاب

الصفحة	الموضوع

الصفحة — الموضوع

الصفحة الموضوع

الصفحة الموضوع

الصفحة الموضوع

الصفحة　　　　　　　　الموضوع

تصويب

صفحة	سطر	
٧	٥	رضيع
٨	١٧	أحد
٨٨	٧	ما أباحه
١٠٨	١٠	بأحلاسها
١٤٨	١١	وفاته
١٤٩	٥	عند
٢١٤	٧	غزوات

من مطبوعات المؤلف

---

(١) الكميت بن زيد شاعر العصر المروانى .

(٢) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح (أربعة أجزاء) .

(٣) تجديد علم المنطق فى شرح الخبيصى على التهذيب .

(٤) الميراث فى الشريعة الاسلامية والشرائع السماوية والوضعية .

(٥) لماذا أنا مسلم .

(٦) القضايا الكبرى فى الاسلام .

قريباً يظهر

(٧) دفاع عن نظم القرآن .

(٨) النحو الجديد .

دار الفكر العربي

لصاحبها : محمد محمود الخضرى

شارع قصر العينى بالقاهرة ـ تليفون ٥٦٤٦٧

أصدرت حديثاً

مصر والشام بين دولتين : للدكتور جمال الدين الشيال .

قصة تاريخية تصف الأحداث فى القطرين الشقيقين ابان انحلال الدولة الفاطمية ، وقيام دولة صلاح الدين ، موكب حافل يضم أبطال ذلك العصر من خلفاء وملوك ووزراء وأدباء ، وخلف هذا الموكب شعب مصر والشام يشدان أزره فى كفاحه المجيد ضد خطر الصليبيين . وثمنة ٢٠ قرشاً

من الخيال إلى الحقيقة : للأستاذ الكبير جميل صليبا .

مقالات بارعة تشير الى ما بين المثل الأعلى والواقع من التأثير المتبادل ، فأنت تنتقل أثناء قراءتها من سماء الخيال الى ميادين الواقع والحقيقة ، فتتراءى لك معالم الحس فى صورة التجريد ، وتتراءى لك معالم التجريد فى صورة الحس ، وهكذا يرتبط الخيال بالواقع والواقع بالخيال فى دقة وأناقة من الفكر والتعبير . وثمنه ١٥ قرشاً

حياة مجاور فى الجامع الأحمدى : للأستاذ محمد عبد الجواد .

صفحة من تاريخ التعليم فى مصر . تصف الدراسة فى المعاهد الدينية ومعيشة طلابها فى آخر القرن التاسع عشر ، وتسجل مشاهدات عشر سنوات فى الجامع الأحمدى وطرق الدراسة ومناهجها وأوقاتها وأغراضها . وثمنه ٢٠ قرشا

بين النيل والنخيل : للكاتبة القديرة السيدة وداد سكاكيني .

مجموعة طريفة من الأقاصيص المصرية القصيرة . صورت فيها الكاتبة كثيراً من جوانب الحياة المصرية وتقاليدها ، وتناولتها بالنقد والتحليل فى أسلوب ممتع واخراج جذاب . وثمنه ١٥ قرشاً

الراحلون : للأستاذ سامى الكيالى .

كتاب يحوى بين دفتيه حياة نخبة من عظماء العالم العربىَ ، وقادة الفكر فيه ، الذين اختارهم الله الى جواره : شوقى ، الزهاوى ، فيصل ، جبران ، الريحانى . وتركوا لنا آثارا كبارا فى حياتنا القومية والفكرية والعلمية .
وثمنه ١٥ قرشاً

أبو العلاء المعرى ناقد المجتمع : للدكتور زكى المحاسنى .

أول كتاب يبحث فى نقد أبى العلاء للمجتمع نسائه ورجاله ويبرز نظرة المعرى القائمة الى الانسان ومخازيه . وثمنه ٢٠ قرشاً

تاريخ الأدب الايرانى : تأليف الدكتور رضا زاده شفيق الأستاذ بجامعة طهران

وترجمة الأستاذ محمد موسى هنداوى المدرس بكلية الاداب بجامعة فؤاد .
اتجاه جديد فى البحث يلقى ضوءاً على نواح غير مطروقة من تاريخ الحكومات الاسلامية فى الشرق الأوسط منذ الفتح الاسلامى حتى أحدث العصور ، يربط بين الحياتين السياسية والعلمية مستعرضاً أهم النجوم اللامعة فى حياة الأدب والعلم ، يسد حاجة المؤرخ والأديب والدارس للغة الفارسية ، به ما يقرب من أربعمائة بيت من الشعر وخريطتان للعالم الاسلامى وأشهر مدنه وبعض اللوحات من أهم الشخصيات . وثمنه ٤٥ قرشاً

قصصنا الشعبى : للدكتور فؤاد حسنين على الأستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد

قال فيه الأستاذ محمود تيمور بك : « اطلعت على أبحاث فنية عن قصصنا الشعبى دبجتها براعتكم الكريمة فراقنى فيه تحليلكم الفنى لهذا القصص واهتمامكم بالتعريف به فكتبت اليكم هذا لأعبر لكم عن صادق اعجابى » .
وثمنه ٢٠ قرشاً